روايات رومانسية عالمية

عبير

مارجري هيلتون

لحظات الحب

nlo
lilas.com

مكتبة زهران

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
A MAN WITHOUT MERCY

nlo

١ - امرأة وحيدة

يوم الجمعة: عطلة نهاية اسبوع اخرى.

صعدت جيردا درجات السلم الثلاث ببطء، ولم يكن هناك احد يلاحظ توقفها او حركاتها المتعبة قبل ان تضع المفتاح في ثقب باب الشقة رقم ٢٧، كما لم تلحظ وجود اي شخص، من قبل، في ممرات بناية كراغتون، المضاءة جيداً. كان الموجودون في البناية اناساً يعيشون خلف ابواب شققهم الفخمة والديكور الحديث دون الاهتمام بأن يكونوا جيراناً. الا ان جو البناية هذا لم يزعج البطلة، كان يعرفهم جميعاً حسب اسمائهم وارقام شققهم ولم يتوقف يوماً عن الايحاء برأسه تحية بليرد، صباح ومساء.

أغلقت الباب خلفها دون احداث اي ضجة كما لو ان الباب كان مبطناً بالقطيفة، لتتسلل بهدوء الى عزلتها.

ستدخل، ذات يوم، الشقة بعد ان تتحول وحشتها الى دفء بيت في انتظار عودة صاحبه بعد يوم عمل شاق، الا ان ذلك اليوم لم يحل بعد، حتى بعد انتظار ستة شهور. كانوا جميعاً مخطئين: هكذا فكرت وهي تفرغ محتويات كيس التسوق في الثلاجة وخزانة المطبخ، ولو انها اصغت لنصيحة اصدقائها بعد وفاة بليز لانتقلت من شقتها الى مكان آخر او ربما لقبلت دعوة والدة بليز للبقاء معها فترة غير محدودة. الا ان فكرة العيش في بيت بليز الفاخر، في منطقة ديفون، في صحبة امرأة عجوز تعيش على ذكرياتها، كانت غير محتملة ثم انها لم ترغب بالتخلي عن مكان منحها إياه بليز بكل حب.

www.liilas.com

liilas..com

ربما كان اصدقاؤها محقين، ربما كانت حقاً لاصرارها البقاء في مكان يذكرها كل ما فيه ببليز بدلاً من التخلص من ذكرياتها عن زواج لم يستغرق فترة طويلة، اذ قضت معه فترة سنتين.

دق جرس الهاتف فخفضت الحرارة تحت ابريق الشاي، قبل توجهها لرفع السماعة. اجابها صوت كاترين، كما توقعت، وابتسمت اذ حدست مقدماً ما ستقوله المرأة الأكبر منها سناً، فقالت:

«كلا، ارجوان تعذريني يا كاث. نعم اعرف ان لايل كيرك جاء لقضاء عدة ايام هنا فالتقيت بشقيقته منذ ايام، الا انني خططت للتخلص من بعض المشاكل الصغيرة خلال العطلة، وارجو اعفائي من الدعوة. انه لعطف كبير منك التفكير بي.. لكنني ...».

«اعرف انك عانيت من ارهاق العمل طوال الاسبوع كله، وانك متعبة ولكن اصغي لما سأقوله يا جيردا حان الوقت لان يصارحك احدهم بالحقيقة، انك في الثانية والعشرين من عمرك وليس الثانية والاربعين، وقد مضت حل وفاة بليز ستة اشهر فمتى ستتخلصين من تأثير ما حدث؟

لم اخترت هذا العمل؟ كان عليك مغادرة البلد وزيارة والدتك لعدة اشهر. عزيزتي، تعلمين بانني لا احاول التدخل الا انني احاول اعادتك الى دورة الحياة الطبيعية، انك لا ترغبين بالبقاء ارملة طوال حياتك، اليس كذلك؟».

توترت اصابع جيردا حول سماعة الهاتف واجابت:

«ليس لذلك علاقة برفضي الدعوة. الا انني لا ارغب زيارة مكان يقضي افراده معظم وقتهم في محاولة ربطي برجل اعزب. خاصة اذا كان الرجل لايل كيرك».

«وما هو عيب لايل؟».

«لا شيء عدا انني لا احس بأي شيء نحوه ولا ارغب في اقامة علاقة معه، او مع اي رجل آخر».

اضافت بتجهم. اما كاترين فاحست بجرح مشاعرها فقالت:

«من اوحى لك بذلك؟ انك تدركين خطأك اليس كذلك؟ انه الوقت للاقلاع للخروج مع رجل لطيف يدعوك للعشاء ثم يبادلك الحب، انه

العلاج الأفضل لوضعك».

«ربما اذا كنت تعلمين ما الذي ستعاجلينه بالضبط».

وتذكرت جيردا شيئاً، ناظرة باتجاه المطبخ فقالت:

«كاتي، يجب ان اذهب الآن لأنني تركت الماء يغلي على النار، اعرف أنك تحاولين مساعدتي وانا اقدر ذلك ولكن هل تستطيع نسيان الموضوع الآن وربما...».

«حسناً، الا اننا لن نسمح لك بالانكفاء وحدك هكذا. اذا لم يتوقع منك بليز الحياة كراهبة بقية حياتك. ويكفي ان السنة الاخيرة كانت قاسية ما فيه الكفاية. يا للمسكين بليز لا بد ان الأمر حطم قلبك...».

«نعم، كاتي سأتصل بك فيما بعد. علي الذهاب. مع السلامة».

وضعت جيردا السماعة في مكانها واسرعت الى المطبخ. كانت كاترين صديقة عزيزة الا ان الحاحها كان اكثر من اللازم، وهذا أمر لم تتحمله اعصاب جيردا.

فتحت جيردا علبة من لحم لسان الثور، شرحت ثمرة طماطم، ووضعت قليلاً من الزبد على الخبز، ثم جلست عند الطاولة الصغيرة لتحدق في السطح المزين بالنوبن الاصفر والبرتقالي، دون ان تراهما.

كانت تعلم ان كاترين محقة. اذ لا يتوجب عليها العيش بهذه الطريقة، متجنبة الدعوات، فاقدة نفسها في زحمة العمل اثناء النهار ومستهلكة وقت فراغها وحدها، ممثلة بغياء الصورة النموذجية المعروفة عنها: ارملة شابة حرمها الموت من زواج مثالي سعيد... آه لو انهم عرفوا الحقيقة.

ورغم ذلك احبت جيردا بليز وبادلها هو الحب. لقد وجدت في بليز ملجأ تخلصت بواسطته من الماضي. فجأة دمعت عيناها فهزت رأسها بعنف: لماذا توجب عليك الموت يا بليز؟ لماذا؟

رفعت صحن الطعام بتثاقل لأنها لم تستطع التام تناول طعامها، ثم جلست لتلقي نظرة على عمل الشركة الذي جلبته معها الى البيت. كان عليها اعداد نسخ بعض المواصفات وموجز تقرير سيوفر عليها الكثير من الوقت يوم الاثنين، ثم اعداد بعض الملاحظات لفوارد دوريل عن مناقصة مهمة. مهما كان رأي كاترين عن عملها فإن جيردا واثقة بأن عملها كمساعدة خصوصية لفوارد دوريل يمثل نقطة ارتكاز هامة في حياتها، اذا

احست بالحاجة لوجودها، ولم يكن لديها وقت للملل. كانت محظوظة في عثورها على العمل وتوفره، وقت حاجتها، لم تكن المؤسسة كبيرة جداً وهذا تسهل ملاحظة الجهود الفردية وكان هوارد صديقاً لها اكثر مما كان رئيس عمل، رغم انها لم تسمح لنفسها باستغلال صداقته.

بدأت الطباعة وتساءلت في الوقت نفسه عن مسار لقاء هوارد بممثل شركة فان لورن للمعدات الالكترونية، فقد كان هوارد متلهفاً للحصول على العقد خاصة بعد سريان بعض الاشاعات عن شركتي فان لورن وويتفورد كومباني. سمعت آخر صفحة من الآلة الطابعة ثم سمعت صوت جرس الباب. تعجبت لذلك واسرعت نحو الباب لتفتحه الا انها تراجعت بدهشة حين رأت وجه الرجل المنتب الواقف انتظاراً.

«هوارد، لم اتوقع...».

ثم توقفت عن الكلام حين ادركت ما اصابه. تناولت من يده حقيبة العمل وقالت:

«ادخل واجلس، سأعد لك بعض الحليب الساخن».

«كلا، لا تزعجي نفسك».

تجاهلت جيردا اعتراضه واسرعت الى المطبخ بعد ان جلس على الكنبة قرب المدفأة. سخنت بعض الحليب بسرعة ثم تناولت قنينة دواء المعدة التي احتفظت بها لمثل هذه الحالات الطارئة.

عاش هوارد من مرضى رجال الأعمال: الفرحة، وتبين لها من معرفتها اياه ان لا فائدة من محاولة ابعاده وتحذيره. حين عادت الى الغرفة همس:

«شكراً، انك تشبهين امك كثيراً. جميلة وبارعة ظاهرياً لكنك دافئة وحنونة في الداخل. ماذا سأفعل دونك؟».

«افعل ما طلبه منك الاخصائي، وافق على اجراء العملية وتخلص من المرض».

«اني عجوز وخائف جداً».

«هراء، ستصبح رجلاً جديداً».

«لست متأكداً من أني اريد التحول الى رجل جديد. جيردا، آسف لاقحامك في مشاكلي، ولكن هل ستساعدينني؟».

«بالطبع، هل تريد مني مرافقتك الى البيت؟ هل استدعي الطبيب...

أو؟».

ثم تذكرت شيئاً مهماً جعلها تقفز من مكانها، فقالت:

«ربما كان من الأفضل الاتصال بالسيد كنفيلي والغاء دعوة العشاء معه. لا يزال هناك وقت».

«كلا، ليس ذلك ما اريده. اللعنة انه حدث سيء وفي وقت اسوأ... جيردا، تلغيت مكالمة هاتفية بعد مغادرتك المكتب».

«هل تعني...؟».

واشار برأسه ايجاباً مضيفاً:

«تأكد الأمر رسمياً، لقد بيعت فان لورن لشركة ويتفورد».

اعتدلت جيردا في مكانها:

«هل تعتقد ان لهذا تأثيراً سلبياً عليك».

«قد يصبح الأمر اذا لم تنجح في تجديد العقد».

وارتسمت على وجه هوارد دلائل الألم رغم محاولته اخفاء ذلك. وحين انتهت نوبة الألم مرر يده على جبينه، قائلاً:

«لهذا جئت هنا الليلة. اذ ليس في امكاني، في حالتي الصحية السيئة، مواجهة ليلة اخرى من الطعام الدسم والشراب حتى الساعات الأولى من الصباح. انت تعلمين ما يعني ذلك».

كانت جيردا تعرف جيداً ما قصده، إذ لاحظت في الصباح الباكر وجوه الرجال الرمادية الشاحبة، ووجوهاً ترتدي قناع الموت ثمن مواصلة التنافس في عالم التجارة والمال. قالت:

«لا اعتقد انك في حالة تسمح بذهابك، اذ ستقتل نفسك بهذه الطريقة. دعني الغي الدعوة قبل ذهابك».

فرد عليها:

«لا استطيع ذلك. يجب ان تحصل على العقد. وما اريده منك هو الذهاب نيابة عني».

«انا؟ الليلة؟... لكنني!».

ونظرت الى ساعتها ثم الى وجهه القلق، وواصلت قائلة:

«هوارد، لا استطيع الذهاب نيابة عنك».

«لماذا؟ هل انت مدعوة الى مكان الليلة؟».

«كلا، لكنك تعرف آراء الرجال المجحفة بحق النساء».

«هراء، ستكونين رائعة خاصة وانك تعرفين تفاصيل العقد احسن مني، حتى انك لن تلجأي الى قراءة الأوراق الرسمية. ابتسمي في وجه العميل وسيوقع العقد كالحمل».

تنهدت جيردا مذكرة كينغسلي، التحدث الذيل ممثل شركة فان لورن، الذي التقت به بعد عدة اسابيع من بدء عملها في المؤسسة، ولم تكن الذكرى مشجعة مثلما ذكر هوارد.

فقالت بلهجة متشككة:

«نعم، انت تعلم بانني سأبذل قصى جهدي، لكن لا تلمني اذا رفضوني مناقشة الأمر مع امرأة».

«لن الومك، كنت سأرسل تيلور لولا انه موجود في مانشستر ولن يعود قبل الساعة التاسعة وربما في وقت متأخر اكثر بسبب زحمة المواصلات».

وتوقف هوارد عن الكلام ليهز كتفيه بارتياح، ثم واصل حديثه:

«انه ثقل ازيح عن ذهني. والآن، هل تريدين سيارتي ام استدعي سيارة اجرة؟».

«افضل سيارة أجرة اذ سيخلصني من مشكلة البحث عن مكان لايقاف السيارة».

«حساب النفقات مفتوح قدر ما تشائين يبله المناسبة هل لديك بطاقة النفقات؟ استخدميها وأصرف كل شيء فيما بعد».

اومأت جيردا برأسها.

«سأعطيك بعض المال احتياطاً».

وسحب بعض الأوراق المالية من جيبه وناولها اياها قائلاً:

«والآن، سأستعيد معك بعض الملاحظات السريعة...».

وحين قام بذلك وعلق بأن معلوماتها احسن من معلوماته هزت رأسها قائلة:

«انني سعيدة لذلك وثقتك بي، وآمل الا اخيب ظنك... بالمناسبة، اين ومتى سألتقي بالسيد كنغسلي؟».

«يا الهي، لقد نسيت اهم شيء. انه ليس كنغسلي، وكان ذلك جزءاً من المعلومات التي تلقيتها. القادم هو ممثل ويتفوره الخاص، الذيل

يدعى».

«حقاً؟ تشرفنا... اي واحد منهم؟».

«جوردان بلاك بنفسه».

«جوردان بلاك».

بعد ذلك، ادركت جيردا ان الفترة القصيرة لم تتجاوز اللحظات بين نطقه للاسم واختفاء الصدى من رأسها، الا انها ظنت ان الأمر استغرق وقتاً طويلاً، قبل ان تسمع صوت هوارد من جديد.

«ظننت ان ذلك سيصدمك، الا انني أمل تحول الأمر الى بشرى خير، اذ انه معروف بتعاطفه الشديد للنساء وارجو ان تمارسي جاذبيتك الأنثوية عليه اذا تنا...».

توقف هوارد اذ ادرك خطأ ما عنه واذ لاحظ شحوب وجه جيردا البيضوي الذال على عمق الصدمة.

«لا استطيع اداء المهمة. آسفة، لا استطيع...».

«لم لا؟».

وفكر بانها عصبية ومترددة فواصل:

«ستكونين افضل سفيرة لنا... واذا كان ما قلته يقلقك فانني لا اظن بانك ستخفضين للغواية بسهولة، حتى لو كان الشخص جوردان نفسه. كل ما عليك عمله هو ارتداء درعك الضاد للحب. والآن لا تقلقي اذا ليس هناك ما يستوجب القلق».

لم تسمعه جيردا، جوردان بلاك من بين جميع الرجال، اخر رجل رغبت في رؤيته مرة اخرى. وكان من المستحيل اقناع نفسها بأن شخصاً آخر يحمل الاسم ذاته. اذ لا يتسع العالم في رأيها، لاثنين يحملان اسم جوردان بلاك. واحال الخوف بشرتها الى لون جليدي واحست بارتخاء اطرافها. وفتحت فمها لتطلق صرخة كبحتها في اللحظة الأخيرة وارادت القول انها تفضل القيام بأي شيء عدا... ثم رأت وجه هوارد المتشنج المذ وقلقه الظاهر يوضوح في عينيه فاستدعت ما حدث ذات مرة في الماضي.

منذ عشرين عاماً مر والدها بالظرف نفسه ووقف هوارد دوريل الى جانبه وساعده على اجتياز الأزمة. منذ عشر سنوات كان دوريل منقذ العائلة بعد وفاة الوالد واخيراً ساعدته لها منذ ستة اشهر عند فقدها البليز.

ولولا مغادرته البلد منذ اربع سنوات لعمل طارىء، لما مرت بأقسى تجربة في حياتها ولاستطاعت بالتأكيد تغيير اساس وضعها الحالي. وبذلت جهدها لاستعادة هدوئها وكبحت عواطفها: ليس في استطاعتها خذلان هوارد.

وأسفة، انه احساس عصبي، ابن سألتني به؟».

والساعة الثامنة والنصف في مطعم توبي، انه مكان رجال، الا انني لم افكر بلعبلك الا الآن».

ولا أمانع في الذهاب الى هناك مرة واحدة».

وانه افضل مطعم لتقديم اللحم المشوي ولو كنت اعلم بلعبلك مسبقاً لاخترت مكاناً اخر بلاتمك اكثر. ربما سيختار بلاك الذهاب الى مكان آخر».

وتلاشى صوت هوارد مرة اخرى وبدا وكأنه يعاني من جفاف في حلقه.

ولا يهم الأمر. من الأفضل ان اقوم بتغيير ملابسي».

ونعم، كيف ستتعرفين على بلاك؟».

وبيض هوارد واقفاً بطء.

هل سأعرف جوردان بلاك؟ خاطبت نفسها ثم اومأت برأسها:

ولا تقلق سأعثر عليه بسهولة، عليك الذهاب الى فراشك مباشرة واستدع الطبيب، هل تسمعني؟».

ونعم، ها هو العقد، لن يوقعه الليلة، بل ما سيحدث هو مجرد الحديث عنه، ولكن من الأفضل لو اعطته معك. شكراً جزيلاً يا عزيزتي. اذا عدت في وقت مبكر، فاتصلي بي، واذا...».

وسأتصل بك غداً».

ردت جيردا... حين غادر هوارد الشقة، ساد المكان صمت هيف، توجهت الى الحمام حيث اغتسلت ثم بدأت محاولة اختيار فستان ملائم للمناسبة. كان الفستان الأبيض الكلاسيكي فاخراً بالنسبة لمكان كتوبي، فاعتارت واحداً وردياً ورفعت شعرها الى قمة راسها ولم ترتد ايا من جواهراتها، كما راعت ان يكون الماكياج بسيطاً.

كانت اصابعها باردة كالثلج حين وضعت بعض العطر على رسغيها وعنقها، ونظرت صورتها في المرآة: الوجه البيضوي محاط بقسوة الشعر الاشقر. ربما لن يتعرف عليها، فما حدث بينهما تم منذ ثلاث سنوات، ولم

تعد هي في التاسعة عشرة من عمرها ذات الشعر الطويل المنسدل بحرية على كتفيها، وملامح الوجه الجميلة... تنهدت جيردا بعمق محاولة الحفاظ على هدوئها. ما الذي يستطيع جوردان بلاك عمله الآن؟ ما حدث كان في الماضي. ليس هناك من إحمال الضغينة في داخله منذ تلك الفترة الطويلة. بالتأكيد، ليس في امكانه الحقد عليها طوال ذلك الوقت...

كان جوردان بلاك اول رجل رأته حين دخلت توبي.

طول الطريق حاولت اقناع نفسها بانه قد لا يأتي لحدث طارىء وصدقت ما توقعته الى حد انها لم تتوقع رؤيته اطلاقاً، الى ان سارت داخل توبي حيث احست بدفء المكان الرجولي، الكنبات الجلدية الثمينة والديكور الخشبي الغامق اللون، المطبوعات القديمة الموضوعة على الجدران والممثلة لرحلات صيد تمت في القرن الثامن عشر، ثم رأت جوردان جالساً في النهاية البعيدة وامامه قدح شراب متلج، بينما حمل يده سيجارة بدا وكأنه نسيها.

وقفت قرب المدخل، محاولة تجاهل رؤوس الرجال الملتفتة للنظر اليها باستغراب، انها المرأة المقتحمة للمجاهم، الا ان جوردان بلاك لم يرها بعد، وعليها المحافظة على رباطة جأشها حتى تلك اللحظة. انه لم يتغير اطلاقاً.

لا يزال الشعر الأبيض الكث منسدلاً بلا ترتيب على جبينه وحاجبيه الغامقي اللون، الخنك القوي تتوسطه شمارة تضيف الى وجهه قسوة وصلابة عرف بهما، بينما تفارقت الشفتان بلا مبالاة اشارة الى شهوانية داخلية، واكد طوله الفارع قوته وتعجرفه، تعجرف رجل لا يقبل المساومة وواثق دائماً من صحة اختياره، لم يرفع رأسه بعد.

تقدمت جيردا نحوه في محاولة يائسة للدفاع عن نفسها، خاطبت اولاً الرجل الواقف خلف البار ثم سارت نحوه:

ومساء الخير سيد بلاك».

استدار برأسه بكسل، والتقت عيناها بعينيه الزرقاوين المطلتين باهداب سوداء، فلمحت الشعاعاً اختفى بسرعة.

اجبرت جيردا نفسها على الابتسام، ابتسامة يرسمها رجال الأعمال على وجوههم كلما تعلق الأمر بصفقة جديدة، ابتسامة ساحرة لا شخصية ودافئة

في الوقت نفسه.

«آسفة لاخباركَ عن عدم مجيء السيد دوريل. كان الأمر مفاجئاً ولم يستطع تأجيل الموعد».

واصل النظر اليها بقسوة وصمت.

«لم ترغب بازعاجك، فطلب مني السيد دوريل الخلول محله».

واشارت الى المظروف الذي تحمله قبل ان تواصل القول:

«لدي كل التفاصيل هنا، اذا رغبت بمناقشتها معي، اظن ان باستطاعتي توضيح كل غموض في الموضوع».

«هل هذا هو العقد الجديد مع خريناغلوندس؟»

«نعم».

احست بجفاف شفتيها وشحوبها وسرت لارتدائها فستاناً وردياً يخفي ذلك.

«هل ترغب في شراب آخر يا سيد بلاك؟ او هل تفضل تناول العشاء الآن؟».

«اكره ان تدعوني المرأة للشراب والطعام».

ثم نظر بانتباه التاذل فجاء حالاً لتلبية طلباته.

«ماذا تريدين يا آنسة...».

وتلفظ كلمة «آنسة» باصرار.

«اني السيدة ماتسون».

اجابت باصرار مماثل:

«اريد قدح عصير. رجاء».

«سيجارة».

وفتح علبة سجائره المزخرفة من جهة واحدة، ثم اشعل لها سيجارتها بيد ثابتة، وضغط على زر القداحة مرتين، لأنها لم تستطع اخفاء ارتجاف يديها، تناولت قدحها وفكرت بأن لقاءها بجوردان اسوأ مما تخيلته. قالت:

«اذا كنت ترغب بتأجيل اللقاء الى أن تتحسن صحة دوريل...».

«لا ادري، ما هو مرض دوريل؟».

«القرحة المعدية. وهو يرفض التوقف عن العمل لمعالجتها».

هز جوردان كتفيه بلا مبالاة وقال:

«ولن يفعل ذلك اذا كان قلقاً بصدد منافسيه، متى بدأ تزويد فان لورن بما تحتاجه؟».

«منذ خمس سنوات».

«وهل انتم قادرون على تجهيزنا؟».

شعرت جيرودا بتخلصها من بعض توترها ففي استطاعتها اجابة الأسئلة بكفاءة ومقدرة ولم تسبب لها المصطلحات التقنية اي ارتباك.

دفع قدحه جانباً وقال:

«لتناول الطعام الآن».

تبعته بصمت، مدركة في الوقت نفسه تغير الادوار حين تقدم النادل لسؤاله عما يرغبان من طعام، فأحست كما لو انها كانت واقفة على رمال متحركة. وفكرت بأن هواره اركلب اكبر خطأ في حياته حين ظن انها قادرة على ذلك مع اي رجل ساحر عادي، اما جوردان بلاك فلم يكن رجلاً عادياً، بل كان ممتازاً يرجوك الى حد ان مجرد فكرة لقائه بامرأة اعمال لمناقشة عقد جديد، مقدر عليها بالفشل منذ البداية.

اختار الشراب ثم كوكتيل الفاكهة لها وكوكتيل الاربيان له، ثم اللحم المشوي بعد ذلك، بعد انتهائه من هذا وضع مرفقه على الطاولة وخاطبها:

«والآن اخبريني عن سبب وجودك هنا؟».

دهشت للسؤال الا انها اسرعت باجابته:

«اخبرتك السبب عند مجيئي. ولا بد انك تعرف العقد المطروح والا لما كنت موجوداً هنا الليلة».

«ما هو مركزك في الشركة؟».

«مساعدة خصوصية للسيد دوريل».

اجابته وهي تحاول تناول كوكتيل الفاكهة.

«حسناً وهل هو المدير الوحيد للشركة؟».

ضمت شفتيها مانعة نفسها من الاجابة بخشونة، الم يقرأ اياً من الرسائل المتبادلة؟ الم يطلع على اي من المعلومات قبل قبوله الدعوة؟ واذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يدع كينفسلي يواصل المفاوضات؟ حسناً، اذا ما كان يرغب فيه هو تاريخ الشركة...

«السيد ميريك والسيد تيلور في مانشستر كما ان هناك اضراباً في...».

nlo

واعرف كل تفاصيل الاضراب في ديلوز ولا تهمني التفاصيل غير الضرورية حالياً».

فسألته بهدوء:

«وما الذي تريد معرفته بالضبط يا سيد بلاك؟».

«وهل هذا هو اسلوبك الخاص مع رجال الأعمال يا جيرود؟».

وحلت لحظة المواجهة اخيراً. كانت عيناه باردتين ولم تستطع مقاومة التحديق فيهما. جف فمها وازدادت ضجة غرفة الطعام حولها، فجأة الى حد تحولت فيه الى ضوضاء غريبة، قالت بصوت مختنق:

«ولماذا لم تقل ذلك من قبل؟».

«ولماذا تظاهرت بعدم معرفتي؟».

لم تستطع العثور على كلمات مناسبة للدفاع عن نفسها، وواصل قائلاً:

«لم تتغيري، كل ما تغير هو انك امتلكت الجرأة للمجيء. ولكن لا بد ان السبب هو لارضاء ترجيستيك بالتواجد في مكان مخصص للرجال».

اتتابها الوجوم وصمتت كما لو انه ضربها على رأسها، ثم سحبت حقيبة يدها بعنف وقالت:

«اذا كان الأمر كذلك، فمن الأفضل ان اغادر المكان».

«وتسيرين فضيحة؟ ابقي في مكانك، ومادا عن العقد؟».

لحظت النادل مقترباً منهما، فسكتت ثم قالت بعد ابتعاده:

«لم تتغير اطلاقاً يا جوردان، كما انك لا تستطيع النسيان».

«وهل توقعت مني ذلك؟».

«كلا، كنت سأكون بلهاء لو انني توقعت اي شيء منك، وخاصة التفهم».

احنت رأسها وتوقفت عن التظاهر بتناول الطعام لعلمها ان الطعام سيخنقها. لحظت انعكاس الضوء على قدح شرابه وتكرار الانعكاس عندما وضع القدح على الطاولة. قال:

«اذن، توفي بليز منذ سنة اشهر. هل ما زلت ارملة؟ ام ان هوارد دوريل هو المرشح الجديد؟».

بتعمد، دفعت صحن طعامها جانباً وجلست باستقامة.

«انت تعلم جيداً قوة مركزك حالياً، اذا ما رغبت باهانتي فليس لدي

الخيار بل سأسمح بذلك لارضائك، ولكن احتراماً لرجل لا علاقة له بما حدث بيني وبينك، رجل لا يصح لومه لأي سبب كان، اطلب منك عدم ذكر اسم هوارد دوريل مرة اخرى».

ويبدو انك تعلمت اخيراً، الاخلاص. ومن سوء الحظ انك لم تتصفي به من قبل».

ولن اجادلك فيما قلته. قالت ببرود. لأني جئت هنا لانجاز عمل وليس وليس . . . ».

وأحست بصعوبة في التنفس والتام جملتها الا انها قالت اخيراً:

«وليس لبدء النقاش في موضوع قديم مرة اخرى، والآن هل تستطيع ان تعلم حسبما بعدد العقد؟».

«أه! نعم العقد».

ومال جوردان في مقعده ليتخذ وضعاً مريحاً اكثر وقال:

«انك ترغبين في الحصول على هذا العقد مهما كان الثمن اليس كذلك؟. خاصة ان شركتكم مرت بعام تجاري سيء» في السنة الماضية».

«لم كل الشركات، احياناً، يظرف عصيب».

وحاولت في الوقت نفسه الحفاظ على جمود ملامحها لئلا يجد لذة ساخرة في تعذيبها.

«الا تريد بعض الحلوى؟».

اشار برأسه رافضاً وطلب من النادل جلب الجبن. وبعد انصراف النادل قال:

«حسناً، لنعد الى العمل، افترض بانك مركز ثقة دوريل. . . هناك اشياء كثيرة اود معرفتها قبل الموافقة على العقد».

كانت وجبة طعام مخيفة. وبدا وكأن جوردان قد تحول الى مخلوق اخر، مخلوق اشتهر بصلابته وقسوته في المعاملات التجارية. وتحولت اسئلته التي اطلقها الى تحقيق متواصل، حلل فيه كل نقطة في العقد، وناقشها في ادق التفاصيل، وكانت اعصاب جيرود على وشك الانهيار قبل ان يتوقف لاشعال سيجارة اخرى.

كانت صالة الطعام فارغة تقريباً، والجو مثقلا بدخان السجائر، راقبت جوردان مدخناً سيجارته ثم تذكرت ما قاله هوارد لها: لن يوقع الليلة، بل

سيكون اللقاء مجرد تحية لذلك.

وسرت رعشة يأس في جسمها، وتلاشى املها في منحه العقد للشركة، خاصة بعد معرفته بعملها.

بقيت صامتة، الا ان التساؤل الواضح في عينيها دفعه الى القول:

«لنخرج من هنا».

وقادتها جلسته الأخيرة الى تعقيد جديد، وعلاقاً للمأزوف طلب من النادل الحساب ودفع هو كل شيء ثم قال للنادل المتعب ان يتناول شيئاً على حسابه، ثم خرجا سوية.

«لا اسمح لأي امرأة بدفع حسابي» اعلانياً.

قال بتصلب حين خرجا الى الظلمة وواصل قائلاً:

«حسناً، اين ستتوجه الآن؟».

حدقت في وجهه عما دفعه الى اطلاق ضحكة قصيرة.

«لم يتم شيء الليلة، كما تعلمين. وأحد الاسباب هو ان ضمان وقت التسليم ليس موافقاً لمواصفاتي. والآن، لنأخذ سيارتي القريبة ولنعد الى بيتي».

«كلا».

واطلقت الجواب بسرعة دفعته للقول:

«لم لا؟ انه المكان الذي اجري فيه صفقاتي عادة».

«افضل عدم الذهاب فالوقت متأخر و...».

ثم توقفت بصعوبة.

«وانت تخافين الاساءة الى سمعتك، هل انت متأكدة ان هذا هو السبب الوحيد؟».

«نعم».

«ارجو ان تكوني مقتنعة، على الأقل، بما تقولينه. كلا لم تتغيري في شيء يا جيردا. ذلك الجمال البريء البارد، المعروض لخداع اي رجل، الا انه لن يخدعني».

«علي الذهاب الآن».

نظرت الى مكان خلفه.

«سأذكر تعليقاتك للسيد دوريل وسأسأله عن الضمان، سيتصل بك في

اقرب فرصة».

ومدت يدها لمصافحته.

«اتصبح على خير وشكراً على وجبة الطعام».

تجاهل جوردان يدها الممدودة وقال:

«اين ستذهبين؟».

«الى البيت بالطبع».

«بسيارتك؟».

«كلا، بواسطة التاكسي».

«سأخذك بسيارتي».

«كلا، لا حاجة لازعاجك، اذ استطيع استدعاء سيارة ... بسهولة».

«ربما، الا اني لا اترك امرأة وحدها في الشارع في الساعة الواحدة صباحاً».

امسك بذراعها وساعدها على عبور الشارع. ولم تستطع التخلي عن حذرها حيالة، حتى عند اقترابها من سيارته الرسيدس الخضراء.

قال بتجهم وهو يفتح باب السيارة.

«لا تخافي، اعرف ما الذي تفكرين به، ولكني لا بد ان اكون في حاجة ماسة الى امرأة اذا ما فكرت بنفسك».

جذب اللفت من يدها ورماه على المقعد الخلفي للسيارة. ثم قال بتصلب المعهود:

«الى اين؟».

لم تبد اي رغبة بدخول السيارة بل قالت:

«لا بد ان كراهيتي الى هذا الحد ترضي رغباتك».

«كلا، ليس الكراهية. للكراهية صلة قريبة بالحب، عزيزتي جيردا، وانا اشك بيداً فهمك للعاطفتين. أو انك...».

وجذبها نحوه قائلاً:

«تعرفين ذلك، والا لما جئت الليلة لرؤيتي».

ارتجفت للمس ذراعيه ودخلت السيارة بسرعة. وارتفعت في داخلها اصوات احتجاج ان تصرخ، ان تحتج، ان تطلب منه تفهم ظروفها ارادت

www.liilas.com

ان تهرب قبل ان تسقط في القبض. الا انها لم تستطع القيام بأي شيء، بل دفعت رأسها الى الخلف ليلامس المقعد الجلدي الناعم وان تصل طلبا للقوة لتصمد امام تعذيبه لها حين اتمام مهمتها... وبعد ذلك...

واهتزت السيارة، اذ دخل جوردان بلاك واغلق الباب خلفه. ومست فراعه فراعها اذ بدأ لمسه لازرار الاضواء وانكمشت هي للمسه وكان يطلق ها معه في ظلمة السيارة، وحدهما، امراً غير محتمل ودهشت لسماع صوته مخاطباً اياها:

«اين تسكنين؟».

«بناية كرافتون».

«اعرف المكان».

وسارت السيارة بسهولة، مطيعة لكل لمسة من لمساته وبلا مقاومة مثل امرأة مستسلمة بلا احتراس لعواطفها، وكما كانت في تلك الليلة قبل ثلاث سنوات. ترى هل يذكر ما حدث؟ هل يتذكر امر مرة جلست الى جواره في السيارة بعد ان غادر المستشفى وحاولت اخباره الحقيقة عن علاقتها بستيوارت. بكت حينئذ كثيراً لان ما حدث كان مأساوياً، الا انها لم تستطع تفادي الأمر، وواساها بين ذراعيه. وظنت بانه فهمها وانه سيحاول تهدئتها، وجاءت التهدئة بشكل عناق، واعتقدت للحظة بأنه اهتم بها وانتابها احساس رائع ورغبة بنسيان كل ما حدث وان تستسلم تماماً لمشاعرها الجذلة بقربها منه فمسدت شعره القطني الجميل.

اغلقت جيردا عينيها، كان الجرح عميقاً ومؤلماً كما لو انه حدث يوم امس، اذ لا تزال تحس بضغط يديه وضحكته المحتقرة حين دفعها بعيداً عنه بكل قسوة ووجه اليها اتهامات لم تحلم بسماعها من قبل. اتهمها بأنها كانت رخيصة، انانية، وانه لن يغفر لها مأساة اغبى طوال حياته.

حين وقفت السيارة، واستدار نحوها اختلط حدث الماضي في ذهنها بالحاضر وتوقعت منه الغضب الا انه ابتسم في وجهها.

واخشى ان يكون علينا مواصلة النقاش فيما بعد، على سنلتقين بتوريل؟».

«غداً صباحاً، لن اتصل به الليلة لتأخر الوقت».

تناولت الملف ونظرت اليه قائلة دون ان تجرؤ على النظر بابتسامته:

«سأتصل بك صباح الاثنين».

«ذلك متأخر جداً اذ سأكون في باريس».

«كم سيطول ذلك؟».

«يوماً واحداً. ثم سأتوجه الى برن وسأعود الى المدينة يوم الخميس».

«سأتصل بك يوم الخميس اذن».

وضع فراعه على ظهر المقعد وتفحصها بدقة:

«انك غير ملائمة لهذا العمل كما تعلمين، اذ تركين لي فرصة الاتسلال عبراً دون اعتراض».

ضمّت شفتيها بقسوة متسائلة:

«حقاً؟».

«لو كان من المحدث اليه رجل اعمال خبيراً للبدئي بوضع معين منذ فترة طويلة».

وادركت ان ما يقوله ما هو الا تلاعب باعصابها:

«وهل تكفي مصافحة سيد مهذب لآخر بهذه المناسبة؟».

واختفت ابتسامته الواثقة اذ قال:

«هل تعتقدين ان التجارة عمل سادة مهذبين؟».

«في جيرنغولد، نعم».

ووضعت الملف تحت ابطها ومدت يدها مرة اخرى لمصافحته.

«نصبح على خير وشكراً على ايصالي».

لم يتحرك من مكانه.

«الم تنسي شيئاً؟».

«لا اعتقد ذلك».

«الا تودين السؤال عن ستيوارت؟».

وشحبت فجأة.

«هل سيغير سؤالي اي شيء؟ كيف هو في اي حال؟ تقبل حقيقة كونه مقعداً طوال حياته. اذ ليس لديه اي امل في غير ذلك».

«اتذكر ذلك. ليس في مستطاعي نسيانه».

«كلا؟ اجد ان نسيانك اكثر اقناعاً من تذكرك».

«لقد اوضحت ذلك من قبل ومنذ البداية. ما الذي تتوقع مني عمله

الآن؟ ان اشعر بالاسف لشيء لم ارتكبه؟ ان ارسل اعتذاري المهذب؟ اي فائدة في ذلك؟».

«لا فائدة اطلاقاً».

والتمعت عيناه اذ مد يده لاغلاق باب السيارة.

ومزق صوت اغلاق باب السيارة صمت الليل وزاد الأمر سوءاً صوت المحرك. والتمعت الاضواء مثل عينين غاضبتين لحين اختفاء السيارة عند المنعطف، وعاد للطريق هدوءه.

وجدت جيردا نفسها في المصعد دون ان تذكر كيف وصلت الى هناك، واحست بتقلص معدتها عند توقف المصعد في الطابق الثاني وانفتح الباب بهدوء، واحست بالضغط يسري في اوصالها، اذ دخلت الشقة وجلست حالما وصلت القرب مقعد، حتى قبل ان تخلع سترتها.

وسقطت سترتها الحريرية الناعمة على الأرض، حين تحركت لتسكب لنفسها قدح شراب. ورغم دفء الشقة، احست جيردا بالبرودة تسري في جسمها. وكما لو ان ما حدث طوال الأمسية تسجل على شريط سينمائي، بدأت باستعادة كل التفاصيل: جوردان بلاك واقفاً عند الزاوية، ثم مواجهتها اياه عند تناول العشاء، عيناه المتهمتان. خيل اليها ان قوته بالسيطرة عليها قد تلاشت بعد مضي ثلاث سنوات، الا ان ما حدث اكد عكس ذلك.

حدثت في ظلال الغرفة طوال الليل، وحاولت جيردا الامساك بما يعيد اليها طمأنينتها، وانت ان يستعيد هوارد صحته قبل يوم الخميس. حينئذ لن يكون هناك اي سبب لقاء جوردان مرة ثانية. وسيغرق الماضي في ظلام النسيان من جديد.

الا انها لم تحصل على السلام المتوقع، ولمعرفتها الجيدة بطبيعة جوردان بلاك، ادركت انه لم ينته منها بعد.

٢- غريب يطرق الباب

حين استيقظت جيردا صبيحة يوم السبت، كانت لا تزال تعاني من ثقل اهدابها بجوردان. ورسم الأرق خطوطه الزرقاء تحت عينيها فظلل لونها الوردي الطبيعي.

اعدت افطارها ببطء لتشغل نفسها حتى بلوغ الوقت الملائم للاتصال بهوارد. وحين أشارت عقارب الساعة الى التاسعة وضعت صحيفة الصباح جانباً واسرعت لتلتقط سماعة التلفون.

بقي جرس التلفون يرن في الجهة الثانية دون جواب وبقيت منتظرة عدة دقائق ثم اعادت سماعة الهاتف الى مكانها. ربما عاش هوارد طوال الليل وبدأ للنوم في ساعة متأخرة ولا بد ان السيدة سافدرز، مديرة منزله، غير موجودة لانها ذهبت لتسوق.

دارت جيردا في شقتها بلا غاية، لمزقها الرغبة في الاتصال بهوارد باسرع وقت ممكن، وفي رغبتها في تقدير ما يحتاجه الرجل المريض من راحة. ومع ذلك، اذا لم تتصل به الآن ربما سيحس بالقلق. انتظرت حتى التاسعة والنصف ثم توجهت نحو الهاتف، ولكنها وفي لحظة التقاطها سماعة الهاتف، ارتجفت لسماعها الجرس يرن، ثم التقطت السماعة بسرعة هامسة لنفسها اسم هوارد...

وكادت ان تنطق باسمه مرحبة، الا ان كلمات وصوت المخاطب جعلت عينيها تتسعان وصدمت لسماع الخبر حتى انها قالت:

«آه، كلا، كلا».

بعد لحظات، اعادت سماعة الهاتف الى مكانها وبدأت تتوارى خلف

حزنها، وفحوى المكالمة ان هوارد سقط فاقداً وعيه في الليلة الماضية، اذ عاد من نزيف في معدته ونقل فوراً الى المستشفى واخبرها السيدة ساندرز بانه لا يزال في حالة خطرة.

حاولت جيردا استعادة رباطة جأشها، وقد نسيت في خضم الخبر السيء جوردان بلاك. وبينما قضت طوال ليلتها السابقة قلقة على نفسها، كان هوارد يعاني من آلامه المبرّحة وبشكل اسوأ مما توقعت. ورغم ان السيدة ساندرز اتصلت بالمستشفى قبل اخبار جيردا، الا ان رغبتها بالاتصال بالمستشفى من جديد غلبت على تفكيرها السليم القائل بان لا اخبار جديدة عنه.

وجاءها صوت الممرضة المشرفة على الردهة هادئاً ومثيراً للاطمئنان. وحاولت جيردا ان تتحدث بهدوء بدورها موضحة هويتها، متذكرة ان اغلب المستشفيات تتبع قانوناً عاماً بعدم اعطاء المعلومات عن حالة المرضى الا للمقربين منهم، فقالت:

«ليس للسيد دوريل اقرباء، باستثناء ارملة شقيقه في اسكوتلندا».

«الامر واضح الآن، فقد كان السيد دوريل مريضاً جداً في الليلة الماضية ولم يستطع تزويدنا بالمعلومات اللازمة، كما كانت ربة منزله قلقة جداً».

«كيف حاله الآن؟».

«لا يزال مريضاً، الا انه افضل من السابق».

«هل استطيع زيارته؟».

«لحظة واحدة...».

وتلا ذلك لحظات صمت طويلة، وظرقت سمعها اصوات بعيدة تتحدث، ثم سمعت صوت الممرضة من جديد، قائلة:

«نعم، في استطاعتك زيارته، ووقت الزيارة من الثانية حتى الرابعة بعد الظهر، ولكن عليك رؤية قبل دخولك الردهة».

كانت فجيعتها أمرة وشكرتها جيردا بامتنان، وذكرتها اوقات الزيارة بغرض امها قبل اربع سنوات حين سمح لها بالزيارة في اي وقت شاءت. ترى هل يدل التحديد على خطورة وضع هوارد صحية...؟

وكانت على وشك اليأس من حاول وقت الغداء لانتظارها بفارغ

الصبر، الا انه حلّ اخيراً، وغيّرت ملابسها استعداداً للذهاب الى المستشفى. هل يحتاج اي شيء؟ لم يكن من المحتمل ان يحتاج لاي طعام في هذه المرحلة، كما ليس في استطاعته القراءة حتماً. هل تذكرت السيدة ساندرز كل حاجاته الشخصية، البيجاما، الشقة، آلة الحلاقة... الخ؟ ولكن ربما لن يحتاج لأيّ منها الآن. واهم شيء في الوقت الحاضر هو رؤيته.

ورغم استعدادها لمشاهدة المستشفى والمرضى لكنها لم تستطع مقاومة صدمة رؤية بيت الردهة حيث وضع هوارد. بدا الرجل الضخم اكبر من عمره بعدة سنوات وبدا وجهه شاحباً الى حدّ مائل فيه لون بشرته لون الخدة، وكل ذلك تمّ خلال ساعات قليلة فقط. والى جانب سريره، وضع محلول البلازما، وكان مغطى بشراشف بيضاء كانت تبدو وكأنها تمحو شخصية المريض.

فتح عينيه وبدا فيهما التماع دل على تعرفه عليها، حاول الابتسام وبدهشة انحنت وقبّلت خده.

همست بسرعة:

«لا تتحدث، اذا كنت متعباً جداً».

«جيردا رؤيتك امر جيد».

واشار بيده فأمسكت بها ولم تستطع كبح دموعها اذ رأت شحوب اليد وبروز عروقها الزرقاء فاضحة مقدار ما فقده من الدم.

استقامت ونظرت حولها باحثة عن مكان لتضع فيه باقة الورد، مجموعة من الزهور الصفراء اشترتها من محل الزهور القريب من المستشفى، قال:

«انها جميلة... ما كان عليك تكبد المشقة».

وضعت جيردا الزهور في مغسلة اليد الصغيرة، وحين استدارت رأت علامات التساؤل في وجهه فادركت ما اراد السؤال عنه، جلست الى جواره وقالت:

«حذرني الممرضة الآ ابقى فترة طويلة... والا اقلقك، لذلك لا تقلق بل اهتم بصحتك».

وابتسمت بتفاؤل.

«يجب ان اعرف والا سأقلق، ماذا حدث في الليلة الماضية؟».

«لم يكن الامر سيئاً».

وحاولت الحفاظ على هدوء صوتها، عارفة في الوقت ان عليها ان تكون صريحة معه.

«لم يوقع جوردان بلاك العقد ولم يعد بشيء، كما توقعت انت تماماً، وسيذهب الى باريس يوم الاثنين، ثم الى بون، هكذا علينا الانتظار لحين عودته».

فكر هوارد بما قالته لحظة ثم قال:

«هل كان موقفه مبشراً بالخير؟».

«لست متأكدة تماماً، اذ بدا عليه وكأنه يستهين بحضوري».

«ولكن هذا ما اخبرتك به من قبل، لا بدّ انك جذبت اهتمامه اذن».

واذ نظرت بعيداً قال هوارد مبتسماً:

«ارجو انك تذكرت ذكر العقد في طريق العودة الى البيت».

«نعم، وعدة مرات قبل ذلك».

واستدارت جيردا اذ سمعت صوت انفتاح الباب ونداء الممرضة. وقالت جيردا:

«اعتقد بانهم سيرمونني خارجاً، هل تريد مني جلب اي شيء غداً؟».

«كلا، يا عزيزتي ولا حاجة لك لقضاء يوم عطلتك في المستشفى».

الا انها كانت مستعدة للمجيء رغم اعتراضه، ولاحظت في مساء اليوم التالي، تحسن صحته قليلاً، وشعرت براحة غريبة اذ لم يعاود ذكر مسألة العقد وشكرت ضمنياً جوردان بلاك لرحلته خارج البلد، وحدث ان ارقدتها الممرضة يوم الثلاثاء وهي في طريقها الى الردهة، فأحست برجفة خوف تسري في اوصالها، تابعة الممرضة الى مكتبها ثم داخل طبيب الى الغرفة، وبلا مقدمة قال:

«نحن نقدر زيارتك له يا سيدة ماتسون، لكننا لسنا مرتاحين من بعض النواحي».

شعرت بالتصلب وقالت:

«وماذا تعني يا دكتور؟».

«عالجنا حالات مشابهة من قبل، رجال الاعمال المرضى وزوارهم يجلبون معهم مشاكل مكاتبهم، واضطررنا في الشهر الماضي الى منع زيارة احد المرضى، حين بدأ المريض وهو رجل اعمال بادارة اعمال شركته من

سريره في المستشفى. واذ وصلت اوراقه الخصوصية وسكرتيرته مع السجل اضطررنا الى ايقاف ذلك. نحن لا نتهمك بالامر نفسه ولكنني احاول ابداء اهتمامي بصحته، هناك شيء ما يقلقه اليس كذلك؟».

«نعم، عقد مهم».

«حسناً عليك تخليصه من القلق، ما حدث لرئيسك كان شيئاً خطراً، وقريباً من الموت، ربما كان ذلك العقد الاخير في حياته، حيث فقد اربعين بالمئة من دمه، وهو ليس شاباً، هل توضح الامر لك؟».

«تماماً، وتستطيع الوثوق بي ولن يجد السيد دوريل سبباً للقلق وسأهتم بذلك».

ولكن هل تستطيع هي؟ في استطاعتها مراوغته في الاجابة وطمأنته ان كل شيء على ما يرام، واعدة اياه انها ستخبره بكل التطورات ولكن كيف تستطيع منحه ما سيعيد الطمأنينة الى ذهنه حقاً؟

واذ مرّ الوقت سريعاً زاد قلقها لمعرفتها بما يدور في رأس هوارد ويوم الخميس جعلها مصممة ان تحصل على العقد، ولكن كيف؟

تبدو المسألة سهلة نظرياً، كل ما عليها عمله هو سؤال السيد ميرك الغاء كل ارتباطاته والاهتمام بصفقة ويكفورد بعد ان تسلمه كل شيء. ولكن الامر لم يكن بهذه السهولة عملياً. لقد الغى ميرك عطلته وعاد ليمارس مهام عمل دوريل ورغم انه كان ماهراً في ادارة الامور التالية الا انه كان عاجزاً عن التعامل بطريقة دبلوماسية. وكان هوارد هو الخيار الاول في دعوة رجال الاعمال وتسليمهم.

قال السيد ميرك بلا حماس، بعد ان ذكرت له توضيحاتها غير المقنعة:

«حسناً، اذا كنت تشعرين بانك غير قادرة على اجتذاب بلاك فمن الافضل ترك الامر لي».

قالت بتواضع:

«نعم يا سيد ميرك».

الا انها ورغم محاولاتها المتواصلة للاتصال بجوردان، لم تستطع العثور عليه، وطال الامر حتى يوم الجمعة، فتقلت الخبر الى ميرك فقال:

«لا تهتمي، قد التقي الليلة بكينغسلي في النادي».

الا انها كانت واثقة، في قرارة نفسها، بانه امل شبه يائس، اذ عالم

التجارة لا يتعامل بالعواطف وشكت فيما لو كان لكلمة كينغسلي اي تأثير الآن، كانت له قوته ونفوذه مع فان اورن، اما مع ويتفورد فلا بد انه يسائل نفسه الآن عن ماهية مركزه. وبدا كأن ميرك قرأ افكارها، رغم استغراقها في تغطية الآلة الطابعة وترتيب مكتبها، فعلق:

«هذا اذا كان كينغسلي محتفظاً بمنصبه».

«هل ستطلعني على الاخبار، اذا ما حدث شيء جديد؟».

وظهرت على ملامح وجهه القاسية علامات التفهم وقال:

«بالتأكيد، اذا كان الامر مثيراً للتفاؤل، ولن نفعل ذلك اذا كان ما سيحدث هو العكس».

اومأت برأسها بحزن قائلة:

«نعم، شيء من هذا القبيل».

وعدها ان يتصل بها تلفونياً، في شقتها، صبيحة اليوم التالي، لكنه لم يتصل حتى الساعة الحادية عشرة وظنّت انه نسي، او فشل في الاتصال بكينغسلي، وخطت نحو النافذة وتأملت من خلالها ازدحام السيارات والناس يوم السبت. كلا لم يعد بمستطاعها اخفاء مخاوفها، اذ لم تدع لها احداث الاسبوع الماضي اي احساس بالتفاؤل. فلو لم يقع هوارد ضحية المرض ولو لم تذهب للقاء جوردان لكان العقد الآن في متناول هوارد، لا شيء يستطيع اقناعها بأنها لم تكن السبب في اعاقته التصديق على المشروع طوال الاسبوع.

كم كانت حمقاء اذ جعلته يحسّ ان قراره سيؤذيها شخصياً. لو انها...

ابطأت السيارة الخضراء المتوجهة نحو بنايتها، كما حاولت سيارة شحن صغيرة الوقوف في مكان غير مسموح الوقوف فيه، وفكرت بأن بعض السائقين حمقى... كانت السيارة الخضراء مارسيدس، وانحنت جيردا محاولة تفحص ما جرى الا ان رأسها ارتطم بزجاج النافذة. وقفت السيارة المرسيدس ونزل السائق، وانعكس ضوء النهار على الشعر الفضي ولاحظت ارتسام صورة الرجل على الباب بعد انغلاقه، الفي جوردان بلاك نظرة على البناء ونوافذه العالية ثم سار باتجاه المدخل. تلك الخطوات الشهلة، الخطوات المتميزة... كلا انه ليس قادماً لرؤيتها!

وقفت جيردا في مكانها مرعوبة ثم اسرعت الى المرآة ونظرت الى

ماكياجها وحاولت ان تتذكر اذا كان وجهها بحاجة ماسة له. كلا، لن تسرع لتمشيط شعرها ووضع احمر الشفاه، كلا لن تفتح الباب...

حين سمعت جرس الباب يقرع وفتحت الباب تذكرت قرارها الحاطف بعدم فتح الباب. ورأت عينيه تحدقان في وجهها ثم تنحدران الى جسدها وقدميها واحست بنظره عليها، قال:

«حسناً، هل سأبقى عند الباب طوال اليوم؟».

تراجعت، محاولة اخفاء قدميها العاريتين، ثم دعته الى الصالون قبل ان ينبس بحرف ما وتتوجه بعد ذلك الى غرفة النوم لترتدي حذاءها.

«بحذائك او بدونها؟ الامر سواء بالنسبة الي».

قال مخاطباً اياها، بينما كان واقفاً قرب الباب يراقب خطواتها المتعمدة والكمل:

«بل ان مظهرك غير الرسمي افضل بدونها».

«صحيح؟ هل تريد ان تشرب شيئاً؟».

«كلا، انجح دائماً في تفادي الشراب حتى منتصف النهار».

وتبعها الى الصالون واسترعى حل الكتبة المرمية ثم قال:

«سأجرب القهوة».

واحست بنظراته تخترق ظهرها، اذ سارت متوجهة الى المطبخ، خلال الحاجز رآقبه وهو يشعل سيجارته ثم بقي يبحث عن منفضة سجائر، وخلال نظراته رأت الصالون الفسيح الذي اختارت الثاثه والوانه المتناسقة مع بليز وكيف قررا تصميم كل شيء وفق الطراز الاسكندنافي. ووقف يتفحص تخطيط صورتها، التخطيط الذي الفه بليز بعد اسبوع من زواجهما، ثم دخلت حاملة الصينية، فادار رأسه قائلاً:

«كيا رأيك بليز؟».

«اظن ذلك، هل تريد سكّراً في القهوة؟».

«كلا، شكراً، يجب الا يرسم الازواج زوجاتهم».

وعاد الى مكانه في الكنبة، ثم واصل حديثه:

«وفي الحقيقة يجب الا يحاول النحب رسم صورة حبيبته».

بقيت صامتة، جالسة باستقامة في كرسيها المجاور للنار.

«الصورة ليست حقيقية».

«وهل هناك صورة يحدثين؟».

«انه نقيض مثير للتصوير، او ربما لا توافقيني الرأي؟».

تصلّبت في مكانها بينما ابتسم بتهكم.

«اري انك لم تنسي، هل كان هذا سبب فرض بليز لانطباعه الجديد عن فتاة التقويم العالمي؟».

وضعت جيردا كوب قهوتها جانباً وقالت بحدة:

«لم تأت الى هنا لمناقشة ذلك. ومن الافضل ان تخبرني عن سبب مجيئك».

وتقوس حاجبه تعجباً.

«سؤال غريب من فتاة اتصلت بمكتبي سبع مرّات خلال اليومين الأخيرين».

«السيد ميرك اتصل بمكتبك سبع مرات».

«لا تراوغي، كيف صحة دوريل؟».

«افضل بقليل. الا انه لا يزال مريضاً جداً».

«هل هناك ما يشير الى عودته القريبة الى بيته؟».

«كلا».

وبهدت لتأخذ قدحه الفارغ، الا ان ذكرى شيء ظنت انها نسته منذ فترة بعيدة جعلها غير متوازنة. فاهتز الكوب بين يديها وهي تضعه في الصحن الصغير وسقطت اللعقة الفضية على السجادة، وكان رد فعل جوردان اسرع منها بكثير فانحنى ملتقطاً اللعقة ثم تناول الكوب والصحن من بين يديها.

«انك عصبية اليوم، هل لديك التزامات معينة خلال العطلة؟».

«لماذا؟».

وتذكرت طريقته الماهرة في تغيير المواضيع.

«هل تريد رؤية السيد ميرك؟».

«كلا، اذا كانت لديك اية مواعيد فالغيها».

«بهذه السهولة؟».

جلس ثانية وقال:

«امامك عطلة نهاية اسبوع حافلة بالعمل».

«اسمع ارجو ان تخبرني بصراحة، ماذا عن عطلة نهاية الاسبوع؟».

«انت تريدين التحدث عن العقد، حسناً، سنناقش الموضوع اليوم وغداً، سأعلنك معي الى غرين ريغ مباشرة».

«ولكن...».

وانتابها خوف غريب:

«ولكنني لا استطيع... ليس دون ان ارتب حالي، ثم اني سأذهب لزيارة هوارد مساء يوم غد، و...».

«ان يهتم بذلك، فما سيجري سيكون لمصلحته أليس كذلك؟».

ولم تسمع سؤاله القصير الجاف، الذهاب الى غرين اليومين. ومع جوردان بلاك، وضرع كل شيء في داخلها مطالباً اياها بالرفض لم يكن العقد مهمّاً بالنسبة ليستفوزه الى حد يكرّس فيه جوردان بلاك عطلة نهاية الاسبوع بكاملها لمناقشته. لا بدّ ان ما يهدف اليه شيء آخر، شيء غادر يتعلّق بها، واحست به يراقبها وملامحه تشير الى ثقته العالية بنفسه، مدركاً بانها ستتبع خطواته.

فتحت فمها لترفض ثم تذكرت هوارد دوريل وعلمت ان في هذا نهاية امله بالحصول على العقد، كانت عاجزة عن الرفض ولم يكن باستطاعتها حتى الآن. قالت:

«على حزم بعض الاشياء القليلة».

وتوجهت الى غرفة النوم.

«بالتأكيد».

واسترخى في مقعده واضعاً قدميه على المقعد الصغير المجاور، ثم اضاف:

«تذكري بان الرحلة غير رسمية، وانني استطيع التباحث بشؤون الاعمال قرب ساحل البحر او في مكتب الشركة».

وتنبأت هي بذلك الا انها ستحاول جهدها الا يتم التباحث في العقد قرب ساحل البحر، فكّرت باكتئاب واضعة بعض ملابسها في حقيبة صغيرة.

كان الجو صاحياً والشمس مشرقة مما دعا غالبية سكان المدينة للجوء الى البحر فاكتظت الشوارع بالسيارات، الامر الذي اشعر جيردا بالامتنان لانه

شغل جوردان بلاك عن الحديث اليها، منذ ثلاث سنوات قامت بالرحلة نفسها، جنوباً قرب الساحل، حيث يلجأ جوردان عادة كلما احسّ بالتعب، وجعلها الطريق تستعيد العديد من الذكريات المريرة واصبحت مشاعرها اكثر سوداوية كلما اقتربا اكثر من نهاية الرحلة، وعجزه جلوسها بجانبه الشعرها بالقلق، اما العودة الى مكان الذكريات... ذكريات لحظت منذ ثلاث سنوات فهو امر لم تحسب حسابه بعد.

كان الوقت عصراً حين اتخذ جوردان طريقاً جانبياً حول القرية. وامتنعت عن سؤاله حين اوقف السيارة امام كوخ صغير وقال:

«ستتناول الشاي هناء.

كان في الصالة الصغيرة اربع طاولات فقط، وباستثناء زوجين شابين وطفلها الصغير، بدا المكان خالياً من اي شخص آخر. وحين قدم اليهما الشاي والكعك، فضّل جوردان تناول الشاي وحده ثم قال:

وقلت بأننا سنصل عند السابعة».

ونظر اليها بشكل يتحدّاها فيه ان تناقش ذلك، الا انها اكتفت بالقول:

«لديك ثلاث ساعات اضافية اذن».

وساد بينهما الصمت وشغلت نفسها بالنظر خلال النافذة، الى المكان الريفي الجميل وهدوء المنطقة مع حضور جوردان وتوتر اعصابها المتزايد بمرور الوقت، رغم حرصها على عدم اظهار قلقها، ثم تحرّك في مقعده فتبعته الى السيارة.

«اين سنذهب الآن؟».

قال بادئاً تشغيل السيارة:

«سنطوف حول المنطقة قليلاً. ثم نسير قليلا بعد ذلك، لأني بحاجة الى بعض الهواء النقي».

وبدت ملاحظاته واضحة بما فيها الكفاية، الاّ ان جيردا لم تستطع غير النظر اليه جانبياً، الامر الذي ندمت له فيما بعد، حيث ادار رأسه باتجاهها وارتسمت على وجهه ابتسامة تهكم غريبة، وتحاشت النظر خاصة الى وجهه وشفتيه، وقال:

«هل لديك اي اعتراض؟».

بعد مسير اربعة اميال، ظهر البحر امامهم، فاوقف جوردان السيارة في

مكان بعيد عن الطريق العام، واطفأ محرك السيارة، استدار نحوها وبدأ قلب جيردا بالخفقان بسرعة.

وحسناً لم لا تتحدثين عن الامر؟».

والتحدث عن ماذا؟».

«عن سبب مجيئنا الى هنا».

وقلت انك بحاجة الى هواء البحر النقي».

«صحيح! انك لم تخيري اطلاقاً».

وترك السيارة سائراً باتجاهها وكان من المستحيل تجاهل يده الممدودة لتساعدها على النزول على الأرض غير المستوية.

واحتفظ بيدها في يده اذ بدأ الانحدار الى الساحل وكانت واثقة بمعرفته وغبتها في التخلّص من قبضته والانطلاق حرّة وحدها، بدأ الصغير بعد ذلك كأنه لم يلاحظ تعثر خطواتها عند اقترابهما من البرز الطباشيري، قال بلا مبالاة:

«هل لا تزالين بحّارة سيئة؟».

«نعم».

وجاء اعترافها اجبارياً اذ علمت ما الذي سيتبع ذلك.

«لعلّ ستيوارت عن الابحار كما تعلمين».

«توجب عليه ذلك، انه امر مؤسف، اذ احب الابحار كثيراً».

ولعقت شفتيها الجافتين واحست بالألم يسري في جسمها، وتسلق جوردان الى الفجوة وفرش السترة الطويلة على الارض ثم انحنى ومد يديه ليجلسها، وشعرت بانها واقعة تحت سيطرته اكثر واكثر، واسكنت يديه فجذبها الى جانبه، ولملحظة ظنت بانه سيجلسها اكثر وسيضمها بين ذراعيه، الا انه حررها واشار لها بالجلوس.

جلس جوردان في وضع مريح وحدق في البحر.

«اعتقدنا جلبه الى البخت في كرسيه المتحرك بعد ان صمم له مكان خاص ليصون سلامته، الا انه كره ذلك خاصة بعد ان ادرك فشله في المشاركة بأي شيء وتحولت كراهيته الى غضب شديد، وتحولت الرحلات البحرية الى تعاسة للجميع، لذلك قررنا، في النهاية بيع البخت. بعد ذلك، يئسنا من محاولة اثارة اهتمامه بالخروج من البيت، لأنه رفض تعلم

قيادة السيارة الخاصة بالقعدين كما رفض الخضوع لاي علاج، كان يجلس لساعات متواصلة ويده كتاب لا يرغب حتى بقلب صفحاته، وتحول الى مخلوق لا يستطيع احد الحديث اليه، وبدأت تنتابه نوبات غضب يلعن فيها سالفيه العاجزين، ويلعننا لأننا نستطيع السير بينما عجز هو عن ذلك».

بقي صوته عابداً طوال فترة حديثه وملامحه قاسية كالعادة، واستمر قائلاً:

«استمر الأمر عدة اشهر، الى ان عانت والدتي من انهيار عصبي، فأرسلتها الى ايطاليا ثم الى الجزر اليونانية بصحبة مرافقة لها، وبقيت انا وحدي مع ستيورات، ونجحت بعد فترة قصيرة في اعادته الى الحياة، لأنه اكتشف اهتماماً بالرسم وخاصة بالحركة الانطباعية الجديدية، كانت لوحات ستيوارت مشابهة للكواليس الليلية، الا ان ما كان مهماً هو ظهور الاهتمام بشيء ما، لكنني لم استطع البقاء معه فترة خير محددة عيطاً اياه بالناس والمتع، وحين عاد الى البيت جعلته يستقر في غرين ريفر وبدأ تدريجياً العودة الى انطوائيته ويأسه. ولكن مع اختلاف ضئيل: بدأ يتقبل مصيره».

تحرك جوردان ونظر مباشرة في عيني جيردا مضيفاً:

«الا انه لم ينس ابداً».

فقالت:

«كما لم تنس انت».

وفقدت سيطرتها على نفسها نتيجة لرتابة صوته واستطرادته في ذكر التفاصيل المؤلمة، ورفعت يديها المرتجفتين الى وجهها متسائلة:

«ولماذا؟ لماذا تواصل لومي على عجز ستيوارت؟ ما حدث كان مجرد حادث».

«نحن نعلم بانه كان حادثاً، نعرف اصطدام ستيوارت، الا اني اعرف سبب الحادث، رغم انه يرفض حتى الآن لومك».

«ولماذا تواصل لومي انت؟».

سألت جيردا.

«لانك لو حافظت على وعدك لاختلف الأمر، الا انك لم تفعلي ذلك، كنت انانية، ولم تكوني قادرة على الاكتفاء برجل مقعد، اليس كذلك؟».

تحاشت الاجابة على سؤاله وهزت رأسها بالنفي، كان من المستحيل اقناع جوردان بسوء حكمه، لقد حاولت منذ ثلاث سنوات، القيام بذلك وفشلت. قالت:

«هل هذا سبب جلبك اياي الى هنا؟ ان تفتح الجرح القديم مرة اخرى، انت تمارس تعذيبي بكراهيتك وحقدك. لا اظن ان ستيوارت يكرهني الى هذا الحدّ رغم انه هو المصاب، الا ان كل ما تهتم به هو رغبتك في الانتقام، ولكن لماذا؟ ما الذي فعلته لك؟ وما فائدة الحقد الآن؟».

تساءلت بمرارة. هز كتفيه استهجاناً بدون ان يتأثر بألمها.

«لا ادري، كل ما اعرفه هو رغبتي بالعودة منذ عجلك الى تري تلك الليلة، لأرى هل تغيّرت خلال ثلاث سنوات، او اذا ما زلت قادرة على الوقوف بشكل عابد، كما لو ان شيئاً لم يحدث».

«وهل تعني بانك اردت اقناع نفسك بصحة موقفك السابق؟ وان الشك لا يراودك، وانك لا تشعر بالذنب لادانتك اباي؟».

«لم يكن هناك شك في الموضوع. كنا نعلم ان ستيوارت لم يكن في وضع حقي يسمح له بقيادة السيارة تلك الليلة. وكان سبب ذلك جيداً: فقد ظن انك قبلت الزواج به ثم الكشف بخداعك له مع رجل آخر. وفقاد السيارة كالمجنون. ما الذي توقعته؟ ان يتقبل الأمر بصمت؟ لو كان عاقلاً لفعل ذلك بالتأكيد».

ثم اضاف جوردان بمرارة:

«وكان عليه اكتشاف حقيقتك وحقيقة كونك امرأة انانية، باحثة عن ثروة تكسبها».

«هل ما زلت تصدق ذلك؟ رغم اني اخبرتك اني كنت مع بليز في تلك الليلة، بعد...».

وتوقفت غير قادرة على الاستمرار فقوى جوردان شفتيه علامة عدم التصديق.

«وتزوجت بليز، اليس كذلك؟ آمل انه قنع بصفقته».

وارتعشت بشكل لا ارادي لقسوته واستهانته بها، ثم قال:

«لم يكن هناك تفسير آخر لسلوكك الزوج، حتى اذا استثنينا وجود بليز، حين اكتشفت عدم قدرتك على اخفاء الحقيقة، اجبرت على الاعتراف

بأنك كنت مع ستيوارت في السيارة تلك الليلة، وصدقيني لو ان ذلك الشاهد الذي رأك هربين من موقع الحادث، كان اكثر انسانية لتكفل بان يذكر اسمك في كل صحيفة في البلد ولتشوه اسمك الى الابد، كاشفاً عن حقيقتك الخافية، ولكان ذلك اقل مما تستحقين حيث تركته وحده، فاقداً وعيه وهربت لتنجي بنفسك، ثم بدأت باطلاق الاكاذيب لحماية سمعتك».

ورأت الاحتقار المرتسم على وجهه.

«ولكن الامر لم يكن كذلك اطلاقاً. ثم لا تصدقني؟ فقد عدت الى مكان الحادث، في البداية ركضت طلباً للنجدة، ركضت باحثة عن هاتف عمومي وكان على بعد عدة امیال، وحين عثرت عليه كان عاطلاً، وواصلت الركض...».

«من الغريب اننا لم نعثر على احد يثبت انك استدعيت سيارة الاسعاف. لماذا تضيعين وقتك؟ اذ تعلم جيداً ما حدث، كنت مذعورة الى حد انك هربت بالقصى سرعة».

«لم اهرب، بل عدت الى مكان الحادث، ولكنني كنت متأخرة».

«اجعلك صفة في هذا: كنت متأخرة».

«لكنني اخبرتك، اتصل احدهم بالمستشفى من المنزل، لا بد انه كان راكب الدراجة النارية، وحين عدت لم اجد احداً، اذ تم نقل ستيوارت الى المستشفى، ولم يكن في امكاني عمل اي شيء».

كررت جيردا حديثها بتعاسة.

«واسرعت الى منزلك محاولة التظاهر بعدم معرفتك باي شيء، وصدقتك في البداية رغم ان شحوب وجهك فضح الحقيقة واحساسك بالذنب، ثم حثني ستيوارت على تجنب ذكر اسمك في القضية ولم يرغب بالتحامك في اي اشكال، وماذا فعلت انت عرفاناً بالجميل؟ هجرته وتزوجت رجلاً آخر، وها انت تتساءلين لماذا اشعر بالمرارة؟».

شعرت جيردا بالالم في حلقها، وادركت انها لن تستطيع اقناعه ببراءتها ولا فائدة من اخباره بان ما حدث لم يكن بسببها ما لم ترغب باخباره الحقيقة كاملة. وهو شيء لن تفعله ابداً. اذ سيؤدي ذلك الى ايلام آخرين، وساعدها احساسها بالشفقة على الصمت وما دام ستيوارت قد اختار

الصمت، فقد توجب عليها فعل الشيء ذاته، ولكن الى متى ستبقى متحملة اتهامات جوردان الزيرة؟

تشنجت يداها وغالبت دموعها. ثم قال جوردان فجأة:

«لو كنت صادقة لنا استطعنا لومك الى هذا الحد. ونحن لسنا قديسين كما ان الرجل لم يعد يتوقع بقاء الفتاة ملاكاً بريئاً ولكنك خدعت الجميع بمظهرك البريء منذ البداية، فلو اخبرت الجميع ان هناك شخصاً آخر بدلاً من رمي شباكك حول ستيوارت، لتغير الامر، لكنك لم تفعلي ذلك، بل حاولت خداعي انا ايضاً».

صرخت معترضة:

«اوه، كلا، لي على حادث ستيوارت، اذا توجب عليك ذلك ولكن لا تتهمني بخداعك».

«الم تفعلي ذلك؟».

كان قريباً جداً منها وانتقلت نظراته المتأملة الى وجهها بطريقة اشعرتها بالحرارة تسري في جسمها.

«لا اتذكرك بغير ذلك، وربما لم تستطيعي حسم امرك في الاختيار بين الاخوين؟».

واصبح لنظراته قوة غريبة عليها.

«صدم ستيوارت حين جئت معه لاول مرة، في عطلة نهاية الاسبوع واخبرته بانك لا تحبين الابحار بالقارب، ادعاء كاذب، اذ ان صديقات ستيوارت يفضلن الابحار وقيادة سيارات السباق السريعة عادة، ولم تختر اي واحدة منهن التسكع في الضواحي الريفية مع شقيقه».

«لكنك طلبت مني ذلك».

ضحك بسخرية وقال:

«صدقتك اذ ان بعض الناس يخافون الابحار، والاصابة بدوار البحر تفسد على بقية الناس عطلتهم، فلم يبق امامي ان اختار غير تسليتك بطريقة اخرى».

«قد لا تصدقني، لكنني كنت محتة لمساعدتك، ثم اعلم حين قبلت دعوة ستيوارت انه سيبحر وانه توقع مني الذهاب معه».

«وهل كان اختيارك لبدلة السباحة صدفة ايضاً؟».

انه لم ينس شيئاً، حتى ملابسها، حتى... وارتعشت.

وكانت فرصة سانحة انتظرتها طويلاً، اليس كذلك؟ لاختباري ولتحكم اذا ما كنت صالحة للزواج من اخيك».

وكان لديك فوق رفيع في اختيار ما ارتديته، ذلك القميص الازرق تعلوه السترة البيضاء ذات الازرار النحاسية وصورة الرسالة الحمراء الصغيرة... لا عجب انك اثرت غضب ستيوارت حين رفضت الابحار معه، ولم يراودك الشك في موقفك حينئذ».

«كلا».

اجابته بقوة عارفة بانه مصر على كشف التفاصيل وحاجتها الى الهرب من المواجهة.

امسكت بحقيبتها وبهضت واقفة ولكن جوردان تحرك ايضاً، امسك بذراعها وادارها لتواجهه، تعثرت وكانت على وشك الوقوع الا ان ذلك لم يقلقها من قبضته.

«لم تكوني مستعجلة في المرة الاخيرة».

قال ببرود. حاولت التخلص منه الا انه هز رأسه، وابتسم بهدوء قائلاً:

«لم نحن فرصة الهرب بعد».

التكمشت اذ احست يده تلمس مؤخرة عنقها وتداعب شعرها الناعم عمداً ابقاها على النظر اليه.

«لست الآن في الثامنة عشرة ولست بريئة كالسابق يا جيردا».

احست بقلبها يرتجف كما لو كان على وشك الانفجار وانتابها احساس بالضعف اعاق صراعها معه للتخلص من قبضته.

رفع رأسه وكانت عيناه شبه مغلقتين تحت جفنيه.

«هل نسيت اول مرة عانقتك فيها؟».

هزت كتفيها وادارت رأسها جانباً متحاشية النظر اليه.

«في ذلك الوقت شككت ولأول مرة بسوء حكمي عليك، حين جلسنا هنا في تلك الامسية وابتعدت عني متراجعة الى الوراء، مذعورة، وشعرك مبتل بماء البحر وبدوت صغيرة وبريئة الى حد لا يتجرأ معه اي رجل على لمسك، وعانقتك لاكتشف حقيقة ذلك».

وضحك بنعومة وواصل حديثه:

«وهل تعلمين ما فكرت فيه في تلك اللحظة؟ لخيالك بطلة لاحدى قصص الاطفال، ظننت بانك استحوذت على البراءة في قلبك. كم كنت مخطئاً».

اطلقت جيردا انينا مؤلماً فوضع يده تحت ذقنها ليجبرها على النظر اليه.

«كنت على وشك التراجع، حتى اني اوشكت على تحذيرك من اخي لسمعته السيئة مع الفتيات».

توقف جوردان عن الحديث والتوى فمه سخرية:

«لم انس ابداً تلك اللحظة، حين وضعت يدك على كتفي واقتربت مني».

في مكان ما اطلقت نوارس البحر صراخها. وبدت الاصوات كأنها صادرة من عالم آخر، فارتعشت جيردا من ثقل الذكريات، واستدعت كلماته الماضي بعذابه وقارنته بالحاضر اذ تقف الآن في الموقف ذاته، قريبة منه وراغبة فيه، جوردان الآن وجوردان حينئذ، المساء الحار وملوحة البحر على جسديهما، كيف تستطيع الخداعه بانه كان اول رجل يضع يديه عليها؟

سقطت يدا جوردان عن كتفيها فأحست بالضياع، كما لو ان جزءاً منها توقف عن الحياة، قال ببطء:

«سألت نفسي عن عدد الرجال الذين خدعتهم بنظرات البريئة وتلك التي في القلب، خدعتهم الى حد انهم فقدوا عقولهم من اجلك».

ابتعدت عنه وكتفاها تشيران الى انحدارها، وتساءلت بمرارة:

«وانك واثق من معرفتك بكل شيء، اليس كذلك؟».

«انا واثق الآن، لم اعرف حينئذ عن قضية التقويم السنوي، وان ستيوارت اختار لنفسه فتاة اعلانات رخيصة، لو علمت ذلك في حينه، لتغير الكثير من الامور وما كنت سمحت بالخطوبة».

«وانيت لو انك علمت، انيت لو اني لم اثق بك في حياتي كلها، لا شيء يجعلك تصدقني، انك مصمم على تصديق افتراءاتك عني دون وجود برهان واحد على صحة ما تقول».

وخلفها صرخ، وفجأة لم تعد تهتم حتى بتظاهرها بالكبرياء واخبرته:

«كنت اول رجل عانقني بتلك الطريقة، لذلك فمهما كانت الصورة المرتسمة في ذهنك عني، فانك ساعدتني على خطئها».

«انا؟ جيردا ان الوقت متأخر لمثل هذا النوع من الاكاذيب».
«انها الحقيقة، وكرهتك ذلك اليوم بقدر ما كرهت نفسي».
«كراهية؟».
ولفظ الكلمة بلهجة شك وعدم تصديق:
«لأني حاولت خداعك؟».
«نعم، ولأني كنت حمقاء الى حد اني وثقت بك».
نظر اليها غير متأثر بالتماع دموع الغضب في عينيها وقال:
«ماذا لو وقعت؟ فماذا ترتدي تلك الملابس وتسير الى جانب رجل، وحدهما، ثم ذهبت وتراجعت متذكرة انك لا ترغبين في الاقتراب مني الى ذلك الحد وتظاهرت بالخجل والغضب».
ولمس خده بيده وتفحصها بنظرة باردة قبل ان يقول:
«لم تكن صغمة ملتمة ابداً».
وبدون وعي، شابكت يديها واحست كأنها صفعته لتوها، وانت لو تستطيع ايذاءه بقدر ما آذاها حتى الآن. الا ان الخافر اختفى بسرعة، اذ بدا غصباً ضد ان يلحظه الاذى، واستدارت لتنظر بعيداً.
«حسناً، ما الذي سيحدث الآن؟ هل تشعر بالاكتفاء؟ هل تريد مني العودة لاخبار جيرتغولدز انهم خسروا الصفقة، وان منافسيهم فازوا بالعقد؟».
واستدارت لتواجهه قائلة:
«لم لا تقول ذلك؟ انك لا ترغب بمنحنا العقد. ان موقفك واضح».
لم يتغير تعبير وجه جوردان، بل انحنى والتقط سترته ثم نظر اليها قائلاً:
«يبدو ان دوريل لم يعلمك الكثير عن الجانب التجاري، اليس كذلك؟».
«لا ادري ما الذي تعنيه بقولك، الا اني اثق عادة بغرائزي».
«وما الذي تخبرك به غرائزك الآن؟».
«اني اضيع وقتي، وانك أنت أيضاً تضيع وقتك».
«اذن ها انا هنا أضيع وقتي، كيف؟».
وقفز ثم مد يده لمساعدتها، الا انها تجاهلت اليد الممدودة وكانت على وشك السقوط.

«ولا فائدة مما يجري، اذ انتهى كل شيء منذ فترة طويلة».
«وما الذي انتهى؟».
وبدا متمتعاً الى حد كبير بتعذيبه اياها ببطء وخاصة بأسئلته المتتالية.
«كل شيء»، وانت تعرف ذلك كما اعرفه انا».
«اتظنين ذلك؟».
وحدّق في وجهها الحائر وهز رأسه قائلاً:
«كلا لا اظن ذلك».
ورفع يده ومسد خدها مضيفاً:
«لم ينته شيء بعد، بل انها البداية يا جيردا».

nlo

٣ - الأفق المهجور

لم يتغير المكان كثيراً رغم مرور السنوات، ورغم توسيع الطريق الساحلي وتمديده الى مسافة نصف ميل، فإن البيت القديم بقي محتفظاً بعزلته وهدوئه وكأن المدنية لم تستعوبذ الخضرة المحيطة به كما هي منسية منذ قرون.

واحاطت الشمعة شمس المساء الضبابية المنزل ونوافذه بلون ذهبي وخاصة عند الشفاف السيارة قرب البوابة الخارجية، وزاد السلام المخيم على المكان من ثقل احساس جيردا بالتشاؤم وصدمت لاكتشافها ارتجاف سالبها حين نزلت من السيارة، ولمست، فجأة، لو انها لم تكن موجودة في الشقة عند قدوم جوردان لرؤيتها صباح ذلك اليوم، كما لمست لو انها كانت قوية ما فيه الكفاية لترفض عرضه بقضاء العطلة معه.

دار حول مقدمة السيارة واندمج ظله بظلها، ثم لمس ذراعها باحدى يديه وقادها الى جانب المنزل، حاولت ان تمنع نفسها من الارتجاف، ربما مرت ثلاث سنوات منذ سارت بالطريقة نفسها ولكن مع ستيورات ليقودها الى باب الخديعة المستخدم من قبل الجميع.

بقيت غرفة الجلوس الكبيرة كما هي، المقاعد العميقة المريحة، منضدة كرة الطاولة قرب النافذة، قطع الاثاث غير المتناسبة، الا انها كانت ملائمة ليت استهدف وجوده راحة المقيمين فيه، الكتب موجودة في كل مكان، والقنينة الزرقاء لا تزال في مكانها، في الخزانة الصغيرة قرب الزاوية، وساءلت جيردا نفسها عما اذا كانت ام جوردان لا تزال كما كانت ربة بيت فخورة بنفسها. وكانت غرف المنزل الاخرى متناسقة وجميلة. يحيط بها

صمت يدفع الموجودين للتحرك بيدوه لئلا يؤثروا على كنوز السيدة بلاك، ربما اختلفت الأمور الآن، فكرت جيردا اذ تبعت جوردان عبر الغرفة الى قاعة صغيرة مطلية جدرانها باللون الأبيض، ولم تتذكر جيردا المكان.

«قمنا باجراء بعض التغييرات منذ زيارتك الأخيرة للمكان».

قال جوردان موضحاً.

«هذا هو مكتبي في المنزل الآن، توجب علينا اجراء التعديلات بسبب ستيورات، فحولنا الطابق الأرضي للجناح الغربي الى شقة له بينما احتفظت والدتي بغرفة الجلوس الاصلية والجناح الواقع فوق شقة ستيورات، واصبح الوضع الافضل بالنسبة الينا جميعاً».

وقف عند قمة السلم وأومأ مشيراً الى الجانب الأيمن:

«اتراني هناك، اذ لديك متسع من الوقت لحين حلول موعد العشاء. انزلي عندما تكونين مستعدة وسأكون موجوداً في غرفة الجلوس الكبيرة».

مد يده فاعطاها حقيبتها، تناولتها بصمت وبقيت واقفة في مكانها منتظرة الصرافة لكنه رفع حاجبيه تعجباً وقال:

«حسناً، ماذا تنتظرين؟ او ربما تريدين مني مرافقتك لترتيب ملابسك؟».

«لن يكون ذلك ضرورياً».

ثم توجهت الى غرفة الضيوف، فتحت الباب واخذته خلفها بعنف غير مناسب، بقيت ساكنة لمدة لحظات تفكر بسلوكه العادي معها، الى حد استعادت فيه هدوءها وبدأت تعتقد بأنها موجودة في بيت ريفي جاءت لقضاء عطلة نهاية اسبوع هادئة فيه.

الا ان الأمر لم يكن كذلك، ولن تكون عطلتها هادئة اطلاقاً، ولاحظت لأول مرة عزلة المكان وخلوه من السكان، وضعت حقيبتها على السرير ثم سارت نحو النافذة، فوجدتها مفتوحة واحست بالنسيم يداعب وجهها فاستندت بمرفقها على اطار النافذة والقت نظرة شاملة على المكان المحيط بالبيت، كانت تواجه مقدمة المنزل، فرأت الأرض المكسوة بالعشب تحيط بها ممرات ضيقة مزينة بورود مختلفة الألوان، ثم رأت مقدمة المرسيدس عند الجهة اليسرى. قطبت جيردا جبينها، محدقة فترة اطول في الافق المهجور قبل ان تتوجه الى حقيبتها الصغيرة، فتحتها ورتبت اشياءها، علقت

بعضها في خزانة الملابس بينما وضعت ادوات الزينة عند المنضدة القريبة. رأت في المرآة عينيها وقد ظللهما التعب والقلق، واستدارت برأسها فجأة لتبعد عن نفسها عدم الاحساس بالراحة وبدأت تنظف وجهها بالمستحضر الخاص بذلك.

عليها الا تفقد اعصابها، كررت جيردا لنفسها، اذ لن يستغرق الأمر اكثر من اربع وعشرين ساعة. يجب الا تدع جوردان يحس بخوفها منه. لماذا يجب ان تخافه؟ سألت نفسها محاولة رفع معنوياتها. ولكن الواقع كان شيئاً آخر. فجوردان يكرهها ويلومها على ما حدث، كما انه يملك القدرة على ايذائها، وخاصة من خلال رفضه توقيع العقد مع هوارد، وان يؤذيها لأنها...

ورفضت جيردا مواجهة السبب الحقيقي، رافضة الاعتراف به. كلا، انتهى الأمر منذ فترة طويلة. فلن تدفع له فرصة معرفة قدرته على ايذائها ذهنياً. وابتعدت مذعورة من مواجهة عينيها المتعبتين في المرآة. واعترفت اخيراً بأنها لن تحصل على راحة البال ما لم تبتعد بأقصى سرعة عن جوردان بلاك.

كان سكوتي الظاهري مجرد قناع حاولت التمسك به وهي تنزل الى الطابق السفلي. لم تر حتى تلك اللحظة احداً، كما لم تسمع صوت احد في المنزل وبقيت الافكار السوداء محيطة بها وتحاول اختراقها مثل ظلمة لا تعرف مصدرها. وهكذا تنبأت ارتياح مفاجىء لسماع صوت فتاة منبعثاً من الباب نصف المفتوح، المجاور لغرفة الجلوس.

توقفت جيردا في مكانها واختفى الصوت، ثم سمعت جوردان يقول:

«كلا، ستمضي معه الليلة، لذلك عليك نسيان الأمر».

«لكنني رتبت كل شيء» واراد هو ذلك، كانت هذه فكرته مبدئياً.

«لا تهمني فكرة من كانت، لن تأخذي ستيورات الى ميراغيل الليلة، وفي امكانك...».

«في امكاني؟ حسناً، وتستطيع الآن نسيان الموضوع».

وارتفع صوت الشابة بغضب:

«لم يحدث ذلك دائماً؟ انك مستعد لعمل اي شيء لتتخلص مني اليس كذلك؟ انك تخشى فقدانه، وخاصة اذا ما اخذته بعيداً عنك، لانك

اردت دائماً السيطرة عليه وتنظيم حياته حسبما تريد. لن تنجح هذه المرة،

هل تسمعني؟ واعتقد انك انسان يائس بخلقها لترى بنه بعد ان خلفته. انه لا يريدها! انه لا يحبها. انه يحبني انا ولن تستطيع منعه من ذلك... انا...».

«اخرسي، او غادري المكان حالاً».

«لن اغادر المكان، كيف تجرؤ على تهديدي بهذه الطريقة؟ انك...».

«سأعاملك بالطريقة التي تعجبني. والآن توقفي عن الحديث مثل مراهقة غبية. اذ لديك الاسبوع بكامله لتمضي مع ستيورات، هل اطلب منك الكثير اذا ما سألتك احترام رغباتي امسية واحدة؟».

«رغبات؟ انك اكثر من دكتاتور، انك...».

«ريكا، اخبري ايرون اني ارغب برؤيته».

«لست خادمة لك».

«اذا لم يعجبك الأمر، تعرفين ما عليك عمله».

وساد المكان الصمت، ثم سمعت جيردا صوت خطوات سريعة اعقبها صوت غاضب. وظهرت الفتاة، وجهها يضوي شاحب لا يتناسب مع احمر الشفاه الغامق اللون والشعر الأسود المتناثر بلا ترتيب. كانت على وشك البكاء وتوقفت للحظة متدمشة، اذ كادت تصطدم بجيردا، حدقت في وجه جيردا الى ان جاء جوردان فنظرت بكراهية الى كليهما وغادرت المكان مسرعة، متجهة الى الصالة.

كانت ملامح جوردان قاسية وغاضبة وسيطر على صوته بسرعة طالباً من جيردا الدخول، وحل محل احساسها بالعطف نحو الفتاة، اذ كانت الاخيرة ضحية لجوردان، احساس بمعرفة شخصية الفتاة.

بدأت الحديث متسائلة:

«هل كانت الفتاة سوزان لامونت؟»

«نعم، ابنة سير هيوبرت، هل تعرفينها؟»

«قابلتها مرة واحدة قبل سنوات».

ونظرت جيردا بعيداً قبل ان تستطرد:

«لم اكن متأكدة من شخصيتها».

«نعم، انها سوزان، الطفلة الثرية المدللة، انها في التاسعة عشرة من عمرها وعصبية الى حد لا يطاق، لا ادري ما الذي سيحدث لها اذا كانت في سن اكبر». قال بقسوة واضاف «اطمئني. سأعود خلال لحظة».

وتركها مسرعاً وغادر الغرفة وشعرت جيردا بالامتنان لمغادرته غير المتوقعة، كي تجد وقتاً كافياً لاستعادة قدرتها على التفكير، ترى ما هو سبب وجود سوزان لاموند في هذا المكان؟ جلست جيردا على كرسي مريح، واجمة تحدق في فراغ الغرفة. كان والد سوزان مديراً عاماً لمؤسسة ويتفوره ولا يزال شخصية بارزة في عالم التجارة. وكانت هناك منافسة حادة بين سير هيوبرت وارنولد بلاك، والد جوردان يعود تاريخها الى سنوات بعيدة، اذ وسع سير هيوبرت مرتين اعمال مؤسسته في حقل الالكترونيات على حساب ارنولد بلاك، مما ادى الى اعلانه الافلاس. والآن بعد وفاة ارنولد، تقاعد سير هيوبرت واصبح جوردان بلاك الرجل المسيطر في مؤسسة ويتفورد. ولم تستطع جيردا فهم طريقة نجاحه في السيطرة على مركز مهم في مؤسسة عدو والده القديم لكنه نجح في ذلك بالتأكيد، ولذا ما صحت توقعات موارد فإنه سيصبح رئيس مجلس ادارة المؤسسة خلال عام واحد.

هل كان الانتقام سبب ذلك؟ تساءلت جيردا. انه رجل قاس وبلا رحمة بالتأكيد، الا ان جيردا لم تستطع انكار مساواة موقف سير هيوبرت في الماضي.

اين هو موقع سوزان في القضية اذن؟

استناداً الى حديثهما، الى طريقتها في فضح موقفه، والطريقة التي خاطبها بها، بدا لجيردا ان العداوة القديمة حية كالسابق.

نهضت جيردا وخطت نحو النافذة، وشعرت بثقل قلبها في صدرها. ولم تعتقد ان ستيورات كان يساعد سوزان على هزيمة اخيه، بحيث سيؤدي الأمر الى خلق عداوة اخرى بين الأخوين. اخلقت عيناها بيأس. ما الذي حدث خلال الثلاث سنوات التي نجحت فيها في تحرير نفسها من تأثير عائلة بلاك؟ ترى هل ستعود مرة اخرى، مجبرة، الى حياتهم العاصفة؟

ولم تسمع خطوات جوردان بلاك عائداً الى الغرفة. وجفلت اذ وضع يديه على كتفيها وقال بنعومة:

«الم تسمعيني ادخل الغرفة؟».

«كلا».

وتحركت في مقعدها لتبتعد بعيدة عن ملمس يديه، وقالت:

«هل تزحف دائماً بهذا الشكل لتخويف الناس؟».

«ليس دائماً، فقط حين يستغرقهم حلم اليقظة، ماذا حدث؟ تدين وكأنك تشعرين بالأسف لشيء ما».

بادلته النظرات الثابتة وهزت رأسها قائلة:

«توقفت عن الاحساس بالأسف منذ زمن بعيد، وخاصة حين تقدمت بالعمر».

«الا بد انه كان يوماً حزيناً».

هزت كتفيها فابتسم بطريقته المتميزة ولاحظ:

«الا تشعرين بالأسف من اجلي؟».

«انك آخر شخص اشعر بالأسف من اجله. هل تشد الشفقة الآن؟».

«انني لا اشد الشفقة اطلاقاً».

«انك لا تمنحها ايضاً».

«الا انني افعل ذلك يا عزيزتي».

وكان يخلط الشراب في مكان ما خلفها. متذكراً دائماً ان الشفقة ليست سوى مسكن مؤقت في احسن حالاتها وهي الترغ في الرثاء في اسوأ حالاتها. اي شراب تفضلين؟

وقال الجملة الأخيرة دون اي تغير في لهجته، فأجابت:

«عصير برتقال. رجاء. اين ستيوارت؟».

«يغير ملابسه استعداداً للعشاء في مناسبة حضورك».

وناولها العصير مواصلاً:

«ونتيجة للمشهد الدرامي القصير، طلبت من سوزان المغادرة طوال الأمسية».

«وهل لبت سوزان اوامرك؟».

اومأ برأسه ايجاباً، وكان مستنداً الى المكتب القريب عدداً في كأسه قبل ان يشرب.

هكذا تجري الأمور اذن؟ وتنهدت جيردا وبقيت الى جانب النافذة. من الغريب حدوث ذلك بسرعة، خاصة أنها سمعت الكثير عن عناد سوزان

وسلوكها الجريء، وخاصة اذا طلب احد منها الغناء ترتيبات استعدت من اجلها منذ بعض الوقت.

واضاف جوردان قائلاً:

«واخذها ليون... اعتقد اننا سنشعر بحرية اكبر، اذا ما بقينا نحن الثلاثة وحدنا».

هل سيتحقق ذلك؟ ونظرت الى قدحها الا انها لم تشرب شيئاً وقالت:

«ومن هو ليون؟».

«انه يهتم بستيورات، اذ يجب ان يرفعه احد، ويضعه في الكرسي، كما يساعده على ارتداء ملابسه، ويساعده على...».

«نعم، افهم ذلك، لم يجب على...».

وانسلات عيناها بالدموع وارتجف فمها وهمست:

«آسفة، لا بد ان الأمر فظيع بالنسبة اليه».

ودفعت بنفسها في مقعدها مدركة مدى خوفها من اللقاء المرتقب مع ستيورات. ما فائدة ذلك؟ تساءلت بعجز، لا بد انها آخر شخص اراد الشاب المقعد رؤيته. لو انها علمت فقط بخطة جوردان الخبيثة!

«انك بحاجة الى الشراب، اشربي اذن».

واذ قامت بحركة آلية لمحاولة اطاعة امره، تحرك من مكانه وجلس الى جانبها.

«هل انت خائفة فعلاً من لقاء ستيوارت؟».

سأل بنعومة.

«كلا، لست خائفة من رؤيته. اذا كانت تتضمن كلماتك معنى الخوف من مواجهة شيء مفيت، حين تلتقط بها بذلك الطريق».

وحاولت تجنب نظراته المحدقة.

«كلا ليس الأمر كذلك اطلاقاً».

«وما هو اذن؟».

«وهل من الحكمة لقاؤه؟ ماذا سينجز ذلك؟ كيف سيساعد اللقاء ستيورات؟».

وفقدت سيطرتها على نفسها وكادت ان تقترب منه اكثر لتلمسه الا انها تحكمت برغبتها.

«جوردان هل انت واثق من صحة ما تفعل؟ ما حدث كان في الماضي. وليس من الصحيح اعادته الآن. اذ ليس في الامكان تغيير الماضي».

«كلا، قد لا يكون لقائنا علاقة بما ذكرته. واعتقد انني اخبرتك بأنني سأوضح كل شيء هذا المساء، او هل نسيت؟».

«لم انس شيئاً».

«اذن لا بد انك توافقني، حان الوقت لوضع نهاية للأمر».

«نهاية؟».

«نعم».

وتناول يدها وسحبها لتقف الى جواره.

«ويبدو انك غير قادرة على ادراك حقيقة واحدة بسيطة يا جيردا، انك لا تستطيعين نسيان شيء لم يته بعد».

وبقي ساكناً، ناظراً الى وجهها الحائر ثم لمس خدها بحنان قائلاً:

«تعالي، حان الوقت لاعادتك لرؤية ستيورات».

واذ رافقها جوردان بصمت الى الجانب الآخر من المنزل، شعرت جيردا بالتوتر في جسمها كله وتساءلت عما ستقوله لستيورات خلال اللحظات الأولى الصعبة من اللقاء. وفجأة سألت نفسها اذا كان جوردان اخبر ستيورات عن مجيئها، وأن تستغرب سلوك جوردان وحسه الغريب بالدعابة لو انه رتب الأمر كله كمفاجأة لأخيه.

ارتجفت لسادية الفكرة، كلا، ليس في امكان جوردان... ولكن ربما لن يتعرف عليها ستيورات، اذ مرت ثلاث سنوات منذ افتراقهما وقد تغيرت هي كثيراً. لكنه سيتعرف عليها بالتأكيد...

حين توقف جوردان ودفع باب الغرفة ليفتحها، تراجعت جيردا بشكل لا ارادي الى الوراء. شعرت بجفاف حلقها، كما لو ان كلمات الترحيب التصقت بلسانها، ثم احست بيد جوردان على كتفها تدفعها قليلاً الى داخل الغرفة. كانت الغرفة كبيرة، والكرسي المتحرك يواجه النافذة، وتبخرت كلمات الترحيب الهيأة مسبقاً اذ لم تتوقع لقاء كهذا.

استدار ستيوارت بكرسيه وقال بتجهم:

«استغرقكما القدوم وقتاً طويلاً، اين كنتما؟».

وظنت للوهلة الأولى انه يعنيها الى ان تقدم جوردان خطوة الى الأمام:

«كنت اعتم بصديقتك الغالية. انك تشجعها على الثورة الاضطراب هنا. والآن، اذا لم يكن بمقدورك ان تكون لطيفاً، فكن مهذباً على الأقل».

«الست مهذباً؟ مرحباً يا جيرد، مضى وقت طويل منذ لقائنا الأخير».

تحدرت في مكانها وكان رد فعلها آلياً وغير واقعي، قال جوردان:

«اعد لها شراباً، سأراكما في غرفة الطعام».

وانسحب من الغرفة دون ان ينظر اليها، ووقفت في مكانها ساكنة، لا تعرف ما الذي ستفعله، والتقت عيناها بعيني ستيورات الداكنتين.

ونهضت الى الأمام، محاولة الابتسام فقال:

«اوه، كلا، لا تفعلي ذلك انت ايضاً».

واشار بيديه رافضاً وابتسم لتعبير وجهها المصدوم:

«انك تشبهين البقية تماماً. فلو انهم لم يروني منذ وقوع الحادث فحتبروا النظر الى هذا».

واشار بيده الى الخطاء الحريري الموضوع على ساقيه.

«ولامتنعوا عن التفكير بساقي المشلولتين ولأجبروا انفسهم على الابتسام وسؤالي عن صحتي، انهم يثيرون تقززي».

قالت شاعرة بالخرج:

«انا متأكدة بأنهم لا يحنون ذلك. لن اسألك عن صحتك اذن».

«من الأفضل الا تفعلي ذلك، اذ افضل ان يتجاهلني الناس».

«الن يكون ذلك قاسياً؟».

وارادت ان تتساءل عما اذا كان تجاهله سيساعده على نسيان ساقيه المشلولتين، الا انها لم تجرؤ على قول ذلك.

«هل ترغبين بالشراب؟».

«كلا، شكراً».

ونظرت الى الجهة البعيدة من الغرفة، محاولة تمالك اعصابها ومدركة لصعوبة موقفها:

«يا لها من غرفة جميلة!».

«ليست سيئة. هل هذا كل ما تريدين قوله؟».

عقدت على شفتها العليا وقالت:

«لا اعرف ماذا اريد قوله او ما الذي تتوقعه مني. اذ مضى وقت طويل

منذ لقائنا الأخير».

«نعم وقت طويل جداً. الهى لو تقتربين قليلاً. اذ لا استطيع لنا القدوم بالجاهك».

اقتربت منه ببطء. ونظرت اليه عن قرب رغم طريقته السيئة في معاملة الآخرين. كان لا يزال مزاجياً كالعادة، الا ان المرض لم يغير كثيراً من ملامح وجهه. كان يشبه اخاه الى حد كبير رغم بعض التفاصيل المحيطة بعينيه. كان كمهده السابق، النسخة العصبانية غير الناضجة لجوردان، الملامح الناعمة ذاتها، البشرة المخملية والشفة السفلى المكتنزة وكان الشعر هو الاختلاف الوحيد بين الاخوين، فشعر ستيورات اسود بحمد اضفى على ملامحه نعومة خاصة، اضافة الى ان عرض كتفي جوردان جعله يبدو كالطفل الى جانبه.

«هذا احسن، تستطيعين الاقتراب مني وانت مطمئنة على سلامتك، اذ كما تعلمين ليس بمقدوري الحاق الأذى بك، حتى لو اردت ذلك».

ابتسمت واجابته:

«نحن اكبر عمراً الآن واكثر رزانة من السابق».

اخفى عبوسه ومد احدى يديه نحوها فضمتها بين يديها.

«ربما كنت اكبر عمراً لكنني لست رزيناً وها انا ادرك الآن مقدار افتقادي اياك».

«حقاً؟ فكرت بك كثيراً، وتساءلت عن وضعك، ووصلت احياناً الى حد الكتابة اليك، الا ان الظروف...».

ونظرت عبر النافذة الى الحديقة، لكنها لم تر الزهور ولا الخضرة المحيطة بها.

«ولم لم تكتبي اذن؟».

لم تجبه فشد على يدها بقوة اكبر وتساءل:

«ولم لم تأتي لزيارتي في المستشفى؟».

«لم اظن انك اردت رؤيتي».

وبدا تعبير ساخم على وجهه ثم قال:

«هل حذرك جوردان من المجيء؟».

«كلا».

وكذبت، الا انها لم ترغب بسلوك طريق لا تحمد عاقبته فأضافت:
«بل فلتكن انه من الأفضل الامتناع عن ذلك».
وصمت مرة اخرى وعلى وجهه سيماء التفكير، الا انه ابتسم اخيراً وقال:
«ربما كنت محقة».
فكرت بجوردان واحست بمرارة الذكرى من جديد. كانت دوافعها خلال تلك الأيام الشفيفة تمحتها لاداء الكثير، الا انها كانت ابعد ما تكون عن اتخاذ قرار حكيم. والآن اصبح الوقت متأخراً ولم يبق امامها غير الندم.
قال فجأة:
«هل غفرت لي ما ارتكبته؟».
«بالطبع. سامحتك منذ زمن بعيد اذ اكتشفت ان ليس هناك ما يستدعي الغفران حقي...».
ومرر يده على وجهها قبل ان يقول:
«انا مسرور لذلك، فقد غفرت انا ايضاً، لك كل شيء».
«هذا يجعلنا متساويين».
وعنت ان تكون كلماتها مرحة، الا ان وقعها كان مختلفاً فقالت:
«انني...».
بدأت الكلام ثم توقفت هازة رأسها:
«تتمنين لو ان الأمر لم يحدث؟».
«نعم...».
ولم تستطع اعتباره انها انت ايضاً سماع كلمات الغفران من جوردان ايضاً. تنهدت عازفة ان تحقيق ذلك اكثر صعوبة من لمس القمر واحست بيد ستيورات تمسد يدها.
«انني مسرور لمجيئك اليوم».
ابتسمت وانجنت نظراته، فحاولت تغيير موضوع الحديث بالاشارة الى الحديقة:
«من الرائع مغادرة الحديقة حين يكون الجو جميلاً هذا الشكل. لاحظت ان لا مرجحات هناك وهكذا تستطيع الفتية ممارسة رياضتهم في الخارج

حين يكون الجو صحواً».
«نعم». اليس لديك شيء آخر للمقعد؟».
«هشت، اذ لم تسمع حركة الكرسي ونظرت اليه يقترب منها، وبدا في ملامح وجهه الهادىء ما اراده بوضوح، فتقدمت منه وعانقته.
بحركة خرقاء وضع يده حول عنقها وجذبها اليه بكل قوته الفتية.
ارادت في البداية التظاهر بالاستجابة الا انها علمت ان كذبها سوف يؤلمه الى جرح مشاعره بعمق اكبر من الصدق فانسلت يبعدوه بعيداً عنه، وقبل ان يحررها لمس يبدوه خديها.
ولم تتغير اطلاقاً يا حبيبا. تبدين مختلفة، اكثر ثقة بنفسك واكثر جمالاً، الا انك ما زلت في داخلك كالسابق. بارعة ومكتفية بذاتك، وخائفة من اطلاق العنان لمشاعرك. هل تعلمين؟».
واسترخى في مقعده فأحست براحة اكبر، واستمر قائلاً:
«كنت اول فتاة امتنعت عن الاستسلام لي».
«ان لك طرقك المقنعة».
«الا انها لم تنجح معك. هل تعلمين لم عرضت عليك الزواج؟».
ونظر اليها نظرة جانبية تذكرها لماماً وابتسم قبل ان يواصل حديثه:
«لانك كنت البرهان على نجاح الطريقة التقليدية في اجبار الرجل على الزواج».
«هل كان ذلك السبب الوحيد لعرضك الزواج علي؟».
«كلا، ليس لماماً. رغم انني جئت للجوئك الى استخدام اسلوب قديم لابتزازي».
«لم افعل ذلك».
«الم تفعلي ذلك؟ فلتنت ان ما قمت به يدل على معنى واحد: تزوجني او لا شيء آخر. الا انك بقيت الفتاة الوحيدة التي شعرت بأنني مستعد للنظر في وجهها صباح كل يوم طوال حياتي».
«كان هدفك اذن الزواج بشكل دائم؟».
«نعم، ولتبقى دوامه ما دمنا احياء».
«غير انني لم افكر بما قمت به باعتباره ابتزازاً على الاطلاق» قالت مستعيدة قدرتها على الدفاع.

«كلا، الا انك لدغتني ورأسك كالحميل الوديع».

وضحك ثم لمس زراً جانبياً موضوعاً على جانب المقعد فتحرك بهدوء وصار فجأة الى جانبها، الأمر الذي لم تتوقعه. ثم نظر اليها وقال:

«تعالي سأريك ما استطيع عمله بهذا المقعد».

وقفت وتبعته الى وسط الغرفة.

«أرى انك اسرع مني في الوصول».

واطارد احياناً سوزان، مدعياً بأني سأصدمها، وكنت مرة على وشك ذلك».

«لا يثير ذلك دهشتي».

قالت جيردا بجفاف ونظرت الى ارضية الغرفة الناعمة، الصقيلة وتخيلت ستيوارت متزلقاً بمقعده بسرعة مخيفة يخطي بها احساسه بالعجز. وكيا لو انه حدس ما تفكر فيه فقال:

«انه الجانب السلبي في ذاتي. نوع من حقنة الغرور، اذ عليّ القناع نفسي بقدرتي على السيطرة رغم اصابتي بالعجز».

بقيت جيردا صامتة وتبعته حول الغرفة حتى اقترب في النهاية من الباب الموجود في الجانب الآخر من الغرفة. واذا اصبح المقعد على مبعدة ثلاث اقدام منه انفتح الباب آلياً ثم انغلق بهدوء وكادت جيردا ان تنحصر بينه، لولا انها استطاعت الابتعاد في اللحظة الأخيرة.

«آسف، كان علي تحذيرك بأنه باب آلي».

ثم استدار ليوضح لها بقية الموجودات في الغرفة، مشيراً بيديه الى الأشياء.

«ترين ذلك الفرع الجانبي بجانب الفراش؟ استطيع بواسطته ادارة الراديو والتلفزيون اضافة الى التدفئة والتبريد والاضاءة. استطيع فتح النوافذ، سحب المكتبة الصغيرة واستدعاء ليون او احد الخدم».

«معجزة الكترونية، ما هذا؟».

لمس الزر فانسحبت الستائر تغطي النوافذ واصبحت الغرفة مظلمة، الا ان احد الازرار بقي لامعاً فقال:

«ثم اختار الضوء الملائم، في الوقت الملائم».

تأملت الشاشة السينمائية، اجهزة التسجيل الضخمة، البار الجانبي

الموضوع بحيث يمكن استخدامه في غرفتين في آن واحد، والاثاث الفخم والجدران المكسوة بخشب صقيل اضفى على المكان اناقة البقة. كل شيء يمكن شراؤه، وضع في غرفة ستيوارت... ولكن هل يعوض هذا عن...؟

ورائيها قبل ان يعلق بمرارة:

«سخرية القدر... اليس كذلك؟».

تجاهلت تعليقه وقالت:

«بذل احدهم جهداً كبيراً لانجاز هذا العمل».

«كل شيء تحت سيطرتي. تم كل ذلك تحت رعاية واهتمام اخي الكبير».

«هل قام بكل ذلك؟».

واضيئت عينيها اذ انطفأت الانوار وانفتحت النوافذ لتسمح بدخول اشعة الشمس.

«نعم، وجاء معه خبيران ساعداه على القيام كل شيء. ولم ينسوا شيئاً باستثناء عكازين استخدمهما بدلاً من اليدين».

عاد الى الغرفة وتوجه نحو النافذة منتظراً اياها لتلتحق به. وبدا في انتظار ان تعلق على شيء ما. فقالت اخيراً ببطء:

«اليس في مستطاعهم عمل شيء؟».

«من اجل؟».

ارمأت برأسها ايجاباً وتساءلت فيما اذا كان سؤالها حكيماً.

«كلا، تم اجراء كل شيء من اجلي، عمليات متواصلة، علاج طبيعي وحتى العلاج بالاعشاب، وكان الجواب واحداً: الاعصاب مينة ولا فائدة من اصلاح العطب. الى ان حدث شيء في العام الماضي...».

وتوقف ستيوارت ليشعل سيجارة، وسحب نفاثة السجائر حتى قبل ان تستطيع رؤيتها لتجيبها له:

«في العام الماضي، سمع جوردان عن اختصاصي المالي له خبرة كبيرة في الموضوع فذهبنا الى المانيا لرؤية الاختصاصي».

وحين لاحظت تردده قالت:

«ثم...؟».

بدا على وجه ستيوارت ألم المعانقة ومرت وهلة قبل ان يجيبها:

«اظن بأنه كان اول من منحني القليل من الأمل. كان مستعداً لاجراء العملية، الا ان نسبة النجاح لم تكن حتى خمسين بالمائة، بل الثلث فقط».

«ولم لم توافق؟».

«هل تظنين اني احمق. خاصة بعد ان وضع الاخصائي بعض المحاذير حين قال قد اسير ثانية ولكن بمساعدة عكازين». اضافة الى اني سأعاني من عدم القدرة على التوازن، انها مجرد احتمالات، قد اصاب بذلك وقد تنجح العملية».

«ولكن اجراء اي عملية يحمل ضمناً بعض الخطر. اتذكر ما حدث حين كانت والدتي مريضة وبدت الدنيا مظلمة في عيني، الا انها في صحة جيدة الآن وهي اسعد مما كانت عليه طوال حياتها».

«بلا شك» ثم تنهد قائلاً «ولكن حالتي مختلفة. لقد كان علي الاختيار، اذ حذرني بانني قد اموت اثناء العملية... فهل تقبلين المخاطرة لو كنت مكاني؟».

«لا ادري».

قالت متذكرة معنى حيرته المعذبة وكررت:

«لا ادري، اعتقد انني... نعم اعتقد ان المحاولة تستحق التجربة».

ونظرت في الهاء مناير متجنبة النظر اليه.

«كلا شكراً. لم ترد مني والدتي المخاطرة، رغم رغبة جوردان وكان هذا كافياً لاقناعي. اذ يبدو سهلاً عليه الحديث عني باعتباري الحي الميت، الا انه ينسى دائماً بأنه ليس الفعاني والمختار لمصيره، وهذا ساعدني على ان اقدر الحياة رغم عجزي».

ثم اضاف ببطء:

«حتى العام الماضي، كانت حياتي جحيماً، وحاولت قدر امكاني تحويل حياة المحيطين بي الى جحيم ايضاً. ولكن بعد الرحلة الى المانيا، وبعد تفكيري ملياً قررت اختيار الحياة، ثم اني قادر من مكاني هذا على تحريك بعض الأحداث والأشخاص. وها انا استعيدك من جديد».

«انك تشبه محرك الدمى على المسرح».

«هل هذا صحيح؟ أمل ذلك رغم علمي جيداً بأن المحرك الأصلي هو»

يا عزيزتي جيرد، الأخ الكبير جوردان».

وصمتت حين ادركت استعادته للاحساس بالمرارة كلما تحدث عن اخيه جوردان. وتذكرت ما احست به حين التقت بهما لأول مرة ولاحظت وجود بعض سوء التفاهم بينهما، اذ فكرت بأنه احساس طبيعي بين الأخوة خاصة اذا كان الأخ الكبير قاسياً ومتشدداً بينما الأخ الصغير مدلل وغير ملتزم بأي نظام حياتي. لكنها...

وأحست بالارتياح حين فتح الباب ودخل جوردان، الا ان ستيوارت لم يشاركها احساسها بل استدار لينظر الى جوردان بخامته الفارعة، مرتدياً بذلة سوداء انيقة وقال بتهجم:

«وماذا تريد؟ كنا على ما يرام، ولسنا بحاجة الى اشرافك».

«حان وقت العشاء. الا يهمك الأمر؟».

ولم يبد اي تأثر لخشونة ستيوارت وربما توصل بمرور الوقت الى حماية نفسه بالتجوه الى العبر من نزوات الأخ المتعمد. مهما تكن الأسباب ابدى جوردان هدوءاً وصبراً، وتعجبت لذلك خاصة بعد تذكرها سلوكه معها، وبليت مهمومة تفكر بذلك، رغم سيرها الى جوارهما، متوجهين الى غرفة الطعام.

وكان الجو هادئاً، مشجوناً بعواطف حاول الجميع اخفاءها، عدا ذلك كانت وجبة الطعام جيدة، فقدمت مديرة المنزل حساء الخضار اللذيذ، وتركت لهم على الطاولة انواعاً مختلفة من السلطة واللحم المشوي.

كان سلوك جوردان مهذباً طوال العشاء، وباردا او هذا ما بدا لجيرد على الأقل، رغم ذلك احست بالاضطراب اكثر مما لو كان سلوكه عدائياً. اما ستيوارت فلم يهتم بمتابعة الحديث معهما، واثبت ذلك عدم تغيره كثيراً عن السابق اذ بقي مزاجياً، لا يستطيع اخفاء مشاعره اذا ما أغاظ شيء ما او ازعجه احد الحاضرين مهما كان السبب ضئيلاً. واحست بعض الراحة حين رمى ستيوارت منشفة الطعام على صينية الطعام المجاورة وقال مخاطباً جوردان:

«كان عليك اعلامي بالأمر في وقت ابكر».

«اعلامك بماذا؟».

«بترتيبك لعطلة نهاية الاسبوع وبجيء جيرد».

واخبرتك بالأمر الليلة الماضية. اليس هذا مبكراً ما فيه الكفاية؟».

وحافظ جوردان على هدوئه متناولاً جيردا بعض الحلوى، ومحاولاً في الوقت نفسه تناول كمية اكبر.

«هلمي تناولها مع القشطة الطازجة، هل تريد بعض الحلوى يا ستيوارت؟».

«كلا، شكراً. انك ذو اعصاب حادة حقاً، اذ لم ترني وجهك طوال الستة أسابيع الأخيرة، وحتى لم تتصل هاتفياً. وها انت تأتي فجأة مع جيردا. لم لم تخبرني؟».

«انا نفسي لم اعرف ذلك».

فكرت جيردا بانها، هي أيضاً، لم تعلم عن مجيئها الا عند الظهيرة واحست بالغضب بتثابها، لا بد انه قرر الليلة الماضية، وكان واثقاً تماماً من قبولها المجيء، ربما لادراكه بانه كان يحمل في يده سوط التهديد. وواصل ستيوارت المجادلة:

«وما كان ليخطر ببالك ان سوزان احدثت ترتيباً آخر فقضاء عطلة نهاية الاسبوع».

«نعم خطر ببالي ذلك. لذلك لا تتعب نفسك بتغيير اي شيء اذا انا سنشاركك فيما سيجري. اما اذا احسست بالضيق فسأذهب مع جيردا الى المدينة غداً صباحاً وسنتناقش اعمالنا هناك».

«اعمال؟ اي إعمال؟».

وبدا ستيوارت مصدوماً:

«عقد جديد، اذ نعمل جيردا مع جينغرفولدز الآن».

نظر ستيوارت الى كليهما نظرات اتهام وقال:

«لم تخبرني بذلك. وكل ما فكرت به انك التقيت بها صدفة ثم طلبت منها المجيء استعادة لذكرى الأيام الماضية».

«فكرتك خاطئة اذن».

«ويبدو بانني المخطىء دائماً، هل استشرت...».

«رجاء توقف عن المجادلة، بحق السماء، ليس في نيتي افساد عطلتك، ولو انني علمت...».

وضع جوردان يده على ركبتها القريبة منه والمغطاة بشرشف الطاولة:

«دعيني احسم الأمر بنفسي، اذ انك لم تفسدي شيئاً و...».

«عزيزي لم أعنك بما قلته اطلاقاً».

قاطع ستيوارت جوردان الذي قال:

«الفي لو انك أخبرتنا بما تريده، وسنحل الاشكال، هل تريد منا مغادرة المكان وتركك لتمتع نفسك؟».

وشد جوردان على ركبة جيردا بقوة ثم تركها.

«لو انك جليتها لناقشنا العقد فقط فلا يعني بذلك كثيراً. اذ سيصل الضيوف غداً صباحاً وسنتوجه الى ضفة النهر، لنشرب ونتناول الغداء. وستشاركنكم الخفلة اذن».

فقاطعه ستيوارت قائلاً:

«وحفية اعمالك بيدك؟».

اختار جوردان تجاهل الملاحظة الأخيرة، الا ان جيردا لم تستطع ايقاف نفسها عن التفكير بيوم الغد، وتنابها احساس غريب بالشفقة على جوردان. من الواضح انه قام بكل شيء انساني من اجل ابنيه لينسيه احساسه بالعجز... لكنه من الواضح ايضاً ان ستيوارت يحاول استغلال ذلك الى اقصى حد ممكن. وخلال اليوم التالي بدا واضحاً لها ان ستيوارت لا يستغل أعداء فحسب بل يستغل مشاعر وعطف المحيطين به كلهم.

ولم تجد جيردا كلمة تصف بها سلوك ستيوارت يوم الأحد وبعد لجميع المدعوين، غير كلمة «الخاكم» كان صوته اعلى من اصوات البقية وشخصيته هي المسيطرة، وله وحده كان حق مقاطعة الآخرين او اثارة موضوع جديد للنقاش، واذا ما انتاب ستيوارت الضجر سارع الحاضرون الى ركوب سياراتهم متوجهين الى مكان آخر وحين قرر ستيوارت فجأة ان من الأفضل لعب الورق، عاد الكل معه الى البيت ولعبوا الورق.

لم تستطع جيردا لعب الورق خاصة انها لم تمارس اللعبة طوال حياتها، وبدا ما تعرفه عن اللعبة نكتة طريفة الى جانب الحضور الملتف حول ستيوارت.

اقترحت سوزان محاطة جيردا:

«اجلسي جانباً وراقبي كيفية اللعب لبعض الوقت».

ثم جلست الى جانب ستيوارت لتهتم بتلبية طلباته وتزويده بما يحتاجه

www.liilas.com

من سجائر، منفضة سجائر، قداحة، ثم سألته:

«هل ترغب بسماع شريط التسجيل الجديد؟».

«يا لها من فكرة جيدة». ودعي جيردا لمجلس الى جانبي اذ سأشاركها اللعب الى ان تتعلم بعض القواعد الأساسية. «هل يهتم ليون بالحاضرين؟».

«أرى ليون واجبه كاملاً، اذ كان يدور بين الحاضرين يوزع عليهم الشراب والسجائر ملبياً طلباتهم بسرعة واتقان».

كان ليون اصغر من جيردا عمراً، خلافاً لما توقعته، هادئاً اشقر الشعر ونحيفاً بشكل لا يوازي قوته، حين لاحظته وهو يرفع ستيوارت من مقعده الى السيارة بكل سهولة، وبأثر ليون حمله مع ستيوارت منذ عامين كمساعد ومعالج طبيعي، ويبدو انهما تحولا الى صديقين بمرور الوقت. الا ان ما حير جيردا اكثر من اي شيء آخر هو وجود سوزان، اذ كان موقفها غريباً حيال الأخوين. بدت ملتصقة بستيوارت، تعرض عليه خدماتها في كل لحظة ولا تفارقه اطلاقاً، اما مع جوردان فيبدو بأنها، وبمرور الوقت، توصلت الى تناسي جدالها الحاد واختلافها في اليوم السابق واستطاعت، ذات مرة، الانفراد به لتسأله نصيحته او رأيه او ربما مناصرته ايانها في قضية ما. وحكمت جيردا استناداً الى تعابير وجهها، بفشلها في اثارة اهتمامه واقناعه بما ارادت ثم لجأ جوردان للتخلص منها الى اسلوبه اللامبالي، واللافي لحضور الشخص الآخر. ولجأت سوزان الى الهدوء بعد ذلك، جالسة الى جوار ستيوارت، المطرح تحت الشمس للراحة الا ان سوزان استعادت هدوءها وطبيعتها الاجتماعية بعد قليل. وعادت الى لاهي الورق لمشاركتهم اللعبة دون ان تحمل حقداً على جوردان.

وكان جوردان وستيوارت آخر اللاعبين اذ كان ستيوارت يلعب لصالح جيردا، وبيضت سوزان من مكانها متوجهة نحو جوردان ووقفت خلفه متطلعة في الوقت نفسه الى ورقة لعبه. وبدا على وجهها الفرح واقتربت بوجهها منه حتى لمست اذنه بشفتيها وهمست شيئاً ما. الا ان جوردان لم يتأثر اطلاقاً بحركاتها وبقي في وضعه ذاته وكأنه لم يحس بوجودها اطلاقاً، فقال ستيوارت لجيردا معقباً:

«خلال لحظة واحدة سيستدير ويكسر عنقها. يا لها من فتاة حمقاء

سخيفة خاصة أنها تحاول اشعارنا بقيمة اوراقه».

نظر الى وجه اخيه وعبس قائلاً:

«اكشف عن ورقتك».

ثم وضع اوراقه على الطاولة، قائلاً لسوزان:

«شكراً يا عزيزتي لولاك ما فزت».

الا ان سوزان خاطبت جوردان قائلة:

«ولكننا الفائزان اليس كذلك؟ الم اجلب لك الحظ السعيد؟».

«حقاً؟ من الأفضل ترك المكان لك. في استطاعتك الجلوس محلي».

ووضع يديه على كتفها بشكل لم تستطع معه الا اطاعة امره واضاف:

«لا اعتقد ان وجود جيردا ضروري، اذ انها ليست لاعبة ماهرة».

ثم وضع يديه على كتفيها، فقال ستيوارت:

«هل ستتصرفان؟».

فأجابه جوردان:

«نعم».

ولم يتطرق اليه الشك لحظة في مدى موافقة جيردا على قراره بالمغادرة واقفاً بانتظارها حتى نهضت وتمت للحاضرين ليلة سعيدة.

نظرت جيردا الى جوردان دون ان تنطق بشيء، واحست بازدرائها لنفسها اذ وافقته على طلبه بسهولة.

«فكرت بأني سأنقذك من الجلسة بعد ان لاحظت عدم تمتعك».

«هل تمتعت؟».

«كلا».

اعترفت فوراً.

«حسناً جداً، اذ انني اكره رؤية النساء يلعبن الورق».

الا انها اعترضت قائلة:

«ولكنها كانت لعبة وديه».

وتبعته الى مكتبه.

«كلا، لم تكن كذلك، اذ سيواصل الحاضرون اللعب حتى الصباح عاسرين اثناء ذلك مئات الجنيهات. هل كنت ستتعمد للخسارة؟».

«وكأنك انقذتني من جحيم مقامرة يجري في بيتك».

ولم اقتلك من شيء يا عزيزي. كل ما في الأمر انني وقعت في الخديعة معك».

وعاودها الاحساس بالخوف مرة اخرى. ورأته وهو يهيء لها قدح العصير المثلج، ولم تستطع منع نفسها من الارتجاف بعد ان وضع القدح بين يديها، ونظرت الى وجهه متسائلة:

«والعقد؟».

«فيما بعد».

وفتح علبة سجائره المعدة له خصيصاً في مورلاتفز، وعرض عليها واحدة. حين هزت رأسها رافضة، اغلق العلبة دون ان يتناول اياً منها. ونظر الى كأسه مفكراً قبل ان يتأملها بحدة:

«ما هو رأيك في مجموعة ستيوارت؟».

وجدت نوعلة دون ان تجرؤ على الاجابة على السؤال غير المتوقع.

«انهم، انهم... لا بأس بهم... صحبة ممتعة اذا كنت ترغب بالمتعة».

«ألم يثيروا اعتمامك؟».

«لم افعل ذلك. لم تسألني؟ اذا لا داعي لابداء رأيي في اصدقاء ستيوارت».

تلفظت بذلك بعد ان احست بأن السؤال لم يكن عرضياً، ولا مجرد فاتحة للحديث.

«اردت معرفة رأيك».

«ولكن لماذا رأيي انا؟».

تجاهل جوردان حيرتها، ووضع كأسه على الطاولة، مما احدث ضجة هزت هدوء الغرفة.

«ما رأيك بسوزان؟».

وانتابتها الدهشة مضاعفة هذه المرة، ولكن مع احساس غريب بالتحذير.

«ما الذي تريد التوصل اليه يا جوردان؟ يبدو كأنك تريد الحصول على رأي يثبت صحة بعض الشكوك».

«انني لا اوجه الأسئلة لغرض المتعة، لكنني، بالتأكيد، لست بحاجة

الى ما يثبت صحة رأيي».

واثار قلقها شيء بدا واضحاً في عينيه. وخطرت في ذهنها فكرة مفاجئة كادت ان تدفعها الى التقيؤ. ترى ما الذي اكتشفه؟ هل اخبره ستيوارت؟ ولكن ذلك مستحيل: وماذا عن ستيوارت؟

وكان علي طرح السؤال بصيغة اخرى لاعرف انطباعك عن علاقة ستيوارت بسوزان».

ويبدو انها موالمة به. ولكن كيف استطيع الحكم خلال يوم واحد؟».

وترددت مثل سائر يحاول تلمس طريقه في الظلمة.

«ثم ماذا هناك للحكم؟ ستيوارت شاب وبحاجة الى صحبة شابة مثلها، اذا لا بد انه يعاني من الوحدة المخيفة».

«نعم، لكنه ليس بحاجة الى سوزان».

«انك لا تودها، اليس كذلك؟».

«ان تأثيرها سيء عليه. واسوأ بكثير من تأثير امي عليه».

وصدمت جيردا للهجته فقالت:

«انك لا تعني ما تقول: اذا لا وجود لأي تأثير سيء على ستيوارت».

«ماذا؟ انظري الى ما يحدث كل نهاية عطلة اسبوع حين يكتظ المنزل بهؤلاء الشباب المجانين، ومعظم الاسبوع احياناً. انهم يشربون ويقامرون وسوزان اول من يشجعهم».

«الا انه بحاجة الى الصحبة، ثم انه كان داتياً...».

«نعم، واصلي حديثك وقولي ما خطر ببالك، كان منهوراً داتياً. الا انه كان قادراً على استخدام سلاحه في تلك الأيام. ولم يكن يعاني من نوبات الكآبة المؤدية الى الانتحار كلما تركَ وحده. اتعلمين بأنه حاول الانتحار مرتين؟ هل تعتقدين ان لهذا تأثيراً جيداً عليه؟».

«كلا».

استنكرت جيردا بقوة ثم وضعت كأسها جانباً بعد ان لاحظت ارتجاف يديها.

«ولكن هل انت واثق من صحة اتهامك لسوزان؟ خاصة انك تتهمني بخذلان اخيك؟».

«اظن بأنك تعرفين رأيي جيداً بصدد هذا الموضوع ولا اود مناقشته من

جديداً.

لمحت النظرة القاسية في عينيه واقشعر جسمها خوفاً من عاقبة انتقامه. كلا، ليست مخاوفها وهمية، اذ تجسد خوفها حقيقة واقعة في وجهه الغاضب.

وقف الى جانب المضادة ثم امتد بيد واحدة على رف الكتب واظهرت حركته البسيطة مقدار قوته اكثر من اي استعراض متعمد للقوى.

«ستتزوج سوزان ستيوارت غداً اذا ما رغب هو بذلك ولن يمنعها كثيراً حقيقة كونه مقعداً».

واحست جيردا بالضعف يسري في جسمها فجأة، وبدت لها فكرة زواج ستيوارت من اي فتاة، غريبة، الا انها فكرت ثانية ولم تجد سبباً يدعوها للاستغراب، اذ سمعت الكثير عن حالات زواج تمت بين المقعدين، زواج تم على اساس الفهم المتبادل والحب المشترك، وامتلاك القوة للانتصار على المعاقات، الا ان سوزان... هزت جيردا رأسها بلا تعمد. انها تعرف القليل عن سوزان، الا ان هذا القليل فيه الكفاية ليمنعها ان سوزان لا تملك الصبر والثبات للاستمرار بزواج موضوعة امامه العقبات مسبقاً. انها شابة، وطائشة، مندفعة وتشبه بذلك ستيوارت الى حد كبير. نظرت بخوف الى وجه جوردان وتساءلت:

«هل ستتدخل بينهما؟ حتى ولو كانا يحبان بعضهما؟».

«التدخل؟ بالتأكيد سأتدخل وسأمنع الزواج حتى ولو كان آخر شيء سأفعله في حياتي. انه اسوأ ما يمكن ان يحدث لستيوارت».

«ولكن هل انت متأكد بأنه سيحدث؟».

«نعم، رغم ان ستيوارت اتخذ موقفاً صحيحاً حتى الآن برفضه الزواج، الا انه سيستسلم في النهاية، وسيندم فيما بعد كما ستندم هي لذلك».

«وكيف تستطيع التنبؤ بفشل زواجهما مسبقاً؟».

«كفى هراء، انها مجرد طفلة. طفلة مدللة... استحوذ عليها وهم السيطرة عليه وجعله معتمداً عليها في كل شيء. استخدمي مخيلتك، هذا اذا كنت تملكين اي مخيلة».

قال باحتقار مقاطعاً نفسه ثم واصل الحديث:

«على ستيوارت مواجهة الواقع، ولن يستطيع ذلك ما دامت هناك فتاة

عجوز تقنعه بأن في مستطاعها الانعزال عن العالم والعيش في ارض المستحيل. اذ بناء على رأي سوزان نحن جميعاً مقعدون روحياً وما الجسد الا غلاف لا اهمية له. انها عجوز. ويجب ان اوقفها عند حدها».

«انت عدائياً بلا مبرر؟ كيف تستطيع الحكم بجنونها؟ كيف تستطيع رؤية العالم والحكم عليه بدلاً من ستيوارت؟ انه في حاجة الى وجود شخص يساعده على الثبات. انه عالم مختلف بالنسبة اليه، كيف تتأتى الى هذا الحد بأن سوزان ليست قادرة على اسعاده؟ ليس في مستطاعك ابعادها عنه... ومن القسوة...».

«انك تبدين اهتماماً فائقاً بوضعه، فجأة. وانا مسرور لتركك، اذ سيجعل هذا الأمور اسهل».

«اسهل؟ ماذا تعني؟».

ابتسم واستقام في مكانه ثم سار ليقف الى جوارها، متفحصاً وجهها عن قرب قبل ان يقول:

«ان عطلة نهاية الاسبوع هذه نوع من تجربة اردت اجرائها. واعتقد بأن التجربة ناجحة».

توقف، مراقباً ايماءة وكأنه رأى لمحة بشرتها عضوعها السهل لقوته. فواصل حديثه متعمداً:

«اردت ان ارى اذا كان ستيوارت لا يزال مهتماً بك، راقبته طوال اليوم عن قرب واعتقد بأنك ما زلت مفضلة لديه. قد يكون اعتصامه بمجد اعتزاز بماضي احبه او بوجه جديد الا اني لا اعتقد ذلك صحيحاً. ان اخي كان مولعاً بك منذ سنوات وضحى بحياته بسبب ذلك ولا اعتقد انه نسيك... هل نسيت انت؟».

مدت يدها باستسلام، عاجزة عن الصراخ وانكار ما قاله خوفاً من الحقيقة. تذكرت ستيوارت ومحاولته عنانقها في اليوم السابق وكيف فشلت في تحمله. واحست بالمصيدة تلتف حولها ولم تجد طريقة للهرب....

«وهكذا يا عزيزتي جيردا، عليك الآن التكفير عن خطاياك».

«التكفير؟ عن ماذا؟».

«ستحلين محل سوزان. قلت قبل قليل ان ستيوارت بحاجة الى صحبة فتاة، فلم لا تكونين انت الفتاة؟».

فصرخت فجأة:

«لكني، لكني لا استطيع.... كيف استطيع ذلك؟».

«انك حرة الآن ولتلين الحل الأفضل».

«كلا...».

ورفعت يدها لتحاول اسكاته مدركة بأنه لن يمس بالرحة تجاهها.

«نعم، واذا صح ما سمعته بانك تزوجت من بليز شفقة به... فلم لا تتزوجين اخي؟».

«هل تعني... تعني بأن على الزواج من ستيوارت؟».

«هذا بالضبط ما اعنيه!».

ومدت يدها الى عنقها اذ احستْ بالاختناق:

«لكني لا احبه... انه ليس...».

«حب؟».

وبدا الاحتقار واضحاً في عينيه:

«وما اهمية الحب في مسألة كهذه؟».

انكمشت في مكانها وقالت بصوت عال:

«انك مجنون».

«كلا يا عزيزتي جيرترا. قد اكون حاملاً للعديد من الصفات السيئة، الا ان الجنون ليس واحداً منها».

راقبها للحظة واحدة ثم قال:

«ألم لا تعترفين بالأمر؟ انك تزوجت بليز ماتستون لسببين: اولا لاحساسك بالشفقة وثانياً لأنه ساعدك على الخلاص من تعاستك بعد انتهاء علاقتك بستيوارت».

«كلا، كلا ليس هذا صحيحاً».

«او على الاقل ليس منافياً لصحة ما حدث».

وفجأة انتابها احساس بوجوب مغادرة مكانها، ودون ان تشعر بنفسها اندفعت عبر الغرفة الى النافذة. كانت السماء ذات لون فضي غامق يشير الى ليلة صيف صافية ولاحظت وجود بعوضة تحاول الانطلاق بعيداً عن الغرفة وبدت كأنها ترمز الى وجودها ويأسها في مكان لا ترغب البقاء فيه. قالت بصوت خفيض:

«كيف تستطيع التراح ما قلته باعصاب باردة؟ وذلك لخوفك من القام زواج لا توافق عليك».

«ان استخدامك مهمة القسوة امر غريب من قبلك، وكلمة (الحب) تبدو فارغة اذا استخدمتها. اخبريني ما هو معنى الحب الذي تتلفظين به وتقدرينه الى هذا الحد؟».

«لن تصغي الي اذا ما اخبرتك. واذا اصغيت فلن تفهم بالتأكيد».

«كم هو صحيح ما تقولينه».

وخطا يهدوء ليقف وراءها فارتجفت لاحساسها بوجوده قريباً الى ذلك الحد:

«انت تشبهين غالبية بنات جنسك الرافضات مواجهة الواقع وخاصة مواجهة ما يسمى «الحب». انك تتحدثين عن الثقة والفهم والمشاركة بينها لتعنين، طوال الوقت، حب الذات. تنشد النساء الحب ثم يكون اذا ما لحقهن الاذى بسببه. لأن ما يرغبن فيه فعلاً هو الاستحواذ على الرجل بينما يخدعن انفسهن بتوهم العطاء».

«انك لا انساني».

«كلا، كلا ما اقوم به هو مواجهة الحقائق ولا ادع العاطفة تعميني عن حقيقة الناس».

وامسك بكتفيها ثم لمس شعرها بيده:

«هذا هو الوهم الكبير الخادع للنساء ايتها الفتاة الصغيرة. ابين يتخيلن العيون المسدلة والوعود الكاذبة بالوفاء الابدي. ثم لا يعترفن؟ لم لا يعترفن بأن ما يرغبن فيه هو التملك؟».

وشد من قبضته على كتفيها ثم همس في اذنها:

«هذا هو ملخص الحكاية، الرغبة والأخذ ولكن في الوقت نفسه، التظاهر بأنه عطاء».

نجحت في التحرر من سيطرته وقالت:

«انني احتقرك. انك قاس، انك...».

«عليك اذن الشعور بالامتنان لانك لن تتزوجيني».

«لن اتزوجك ابداً. كما لن تنجح في اجباري على الزواج من اي شخص آخر».

«كلا، لن استطيع اجبارك».

ودفعها شيء ما في صوته للاستدارة ومواجهته:

«كلا، انه مناف للعقل».

«الذي سيان جيدان لقبولك ما اريده».

«سيان؟ لا اعرف ما الذي تتحدث عنه. انه كلاء».

وطغى عليها الخوف الى حد انها شكت بسلامة عقلها.

«تعني، انني اذا ما قبلت الخضوع لمخططك، اذا ما وافقت على تنفيذ فكرتك... الفكرة المستحيلة... اذا ما وافقت فستوقع العقد؟».

«شيء من هذا القبيل، هذا اذا ما وافق ستيوارت بالطبع».

«انك وحش وتحاول ابتزازي».

«انه ابتزاز اخلاقي يا عزيزتي جيرمدا. محاولة لانقاذ شخص عزيز كما اعتقد».

«انها محاولة لا اخلاقية».

هز كتفيه دون ان يبدو عليه التأثر لاتهامها:

«اعتقد بانك مدينة لستيوارت».

هزت رأسها محاولة طرد الكابوس المحيط بحياتها. وخلال الضباب نظرت الى وجهه القاسي وقالت:

«اعتقد بانك تعني ما تقول فعلاً».

«اني لا اقط عادة اشياء لا اعنيها. واعتقد انك تعرفينني جيداً من هذه الناحية».

«لا اعتقد بانني سأكون قادرة على فهمك او معرفة سبب كراهيتك. انك لا تفعل هذا من اجل ستيوارت. كل ما تحاوله هو ارضاء جوع غريب في داخلك، ولكن لماذا؟».

«لا تكوني عاطفية. الخيار متروك لك. فكري بالأمر. ولكن تذكري بأني قد اكون قادراً على الانتظار ولكنني لا اظن جيتفرولدفر قادرة على ذلك».

ووقف وأشعرها طوله بالخوف من قوته. وحدقت في وجهه بصمت وحاولت التحرك من مكانها. وبدا لها ان المسافة بينها وبين الباب طويلة، ولم تلحظ اقترابه منها ومساعدته اياها على السير والخروج من الباب. وقد

اجتازته بقيت كلماته الأخيرة ترن في رأسها مرات ومرات. وتذكرت شيئاً غفلت عنه في البداية فتوقفت في مكانها وقالت:

«قلت بان لديك سببين. ما هو السبب الآخر؟».

ابتسم وتراجع بخفة الى الوراء قائلاً:

«ذلك شيء سأبقيه الى استخدامه فيما بعد».

٤ـ حافة الهاوية

حين عادت جيردا الى الشقة بعد الساعة العاشرة من صبيحة يوم الاثنين، كان هواء الشقة خانقاً، فوضعت حقيبتها جانباً ووقفت في منتصف الغرفة متسائلة عن خطوتها التالية. عليها اولا الاتصال بالسيدة ساندرز او المستشفى لتعرف آخر الاخبار عن هوارد، ثم عليها بعد ذلك التوجه الى المكتب مباشرة.

آه، ما الذي عليها عمله؟

وتحول كل شيء، في صمت الشقة الى حقيقة ثقيلة.

ورنت في ذهنها من جديد اقتراحات جوردان، رغم نجاحها في الهرب منها طوال رحلة العودة. كلا، لم يكن جديداً اذ ليس في استطاعتها الارتباط بستيوارت، لانه زواج محكوم عليه بالفشل مسبقاً.

ومن الغريب ان جوردان لم يشر اطلاقاً الى الموضوع طول طريق العودة. بل انه، في الحقيقة لم يتحدث معها الا بما هو ضروري. كما حاول قدر امكانه تجنب الثارة ما حدث بينهما في الليلة الماضية. وبدا وكأنه الغى الفكرة، الا انها كانت تعرف جيداً بانه كان في انتظار جوابها، اذ انهم خطوته الاولى وهو على استعداد لاتخاذ الخطوة التالية...

وحين وصلا البناية، لم يتحرك من مقعده في السيارة معتذراً لحاجته الى الانصراف بسرعة اذ عليه الوفاء بموعد في المدينة. واكتفى بمناولتها حقيبتها وابتسم في وجهها ابتسامة عبرت عن كل ما اراد قوله ثم قال بصوت مرتفع:

«ارجو ان نلتقي قريباً».

ماذا عليها فعله؟

وتمنت لو ان هوارد استعاد صحته باعجوبة وعاد الى تحمل مسؤ وليات في الشركة والاهتمام بالعقد، الا ان امنيتها تلاشت عند نهاية يوم الاثنين التعس.

كانت صحة هوارد كالسابق تدعو الى القلق. ولم ينصح احد بالسماح له بمغادرة المستشفى فوراً، كما حذرها الطبيب بانه سيكون في حاجة الى فترة نقاهة طويلة بعد ان يسمح له بمغادرة فراش المرض.

ولا اظن بانه سيكون قادراً على العودة الى المكتب قبل مرور شهرين».

قال ميرك متناولا كأس شاي ظهيرة يوم الاثنين واضاف:

«انفي لو كان معنا اليوم».

والتقط ميكروفون جهاز التسجيل الصغير وحاول املاء شيء، ثم غيّر رأيه، ووضعه جانباً، فاضاً جيردا:

«ان مشكلة هوارد الاساسية هي انه احتفظ بالكثير من المعلومات في رأسه».

اتهدت جيردا قبل ان تقول:

«اعتاد القول بانه لم يكن بحاجة لاي شيء مكتوب باستثناء الارقام والتواقيع، وان مصافحة اليد افضل من اي شيء آخر».

«انه لمن الرائع التظاهر بالكمال ولكن كيف نستطيع معرفة ما كان يدور في ذهنه؟ ها هي اوراق منصف العام الحالي وتقارير السوق المالية ناقصة... ما الذي اراد عمله بصددها؟ ان الامر سيختلف اذا حصلنا على فان نوردن».

بقيت جيردا صامتة، فاسترخى ميرك في مقعده وتمطى:

«بالتأكيد ننتهي متاعبنا عند توقيع العقد. لكنني سأكون ممتناً تماماً اذا ما رأيت هوارد يدخل المكتب الآن».

الن يكونوا ممتنين جميعاً؟ تساءلت جيردا بتعاسة. وتبادر الى ذهنها شيء قاله والدها منذ فترة طويلة. كان من الخطر لأي شركة منح رجل واحد كافة الصلاحيات. وكان ذلك اساس المتاعب في جيرنغفولدز حيث كان هوارد هو جيرنغفولدز، كان رمز الثقة وكان مشهوراً بالخاذه الموقف الصحيح في الوقت الملائم ولولا مرضه واندماج فان نوردن بوينتفوردز،

يجري كل شيء على ما يرام.

وتذكرت كيف نظر اليها، تلك الامسية، حين زارته بثوبها الجديد وجعلها تنسى ما اعتدته من تبريرات لرفض المضي في الاهتمام بالعقد. لم تستطع اخباره انها امضت نهاية الاسبوع في منزل جوردان وانها ناقشت العقد معه، كما لم تستطع حتى اخباره انها التقت بجوردان.

قبلته وهزت رأسها بأسف:

«آسفة، املت ان ابلغك بعض الاخبار اليوم، ولكن لا شيء جديداً».

ويذل هوارد جهداً كبيراً ليخفي خيبة امله بمس يديها وقال:

«لا داعي للقلق يا عزيزتي، اعلم بانك تحاولين جهدك واعتقد بانك واثقة، لذلك حاولي الا تيأسي».

وابتسم مضيفاً:

«انني لا اشعر باليأس».

لكنها كانت تعلم، رغم تظاهره بارتفاع المعنويات، مدى خيبته واحست بثقل في قلبها خاصة بعد ان تركته عائدة الى شقتها ووحدتها.

واذ دخلت فراشها، متعبة الى حد لا يصدق ولكن مفكرة في الوقت نفسه صعوبة الاعتماد الى النوم، احست بأنها على حافة هاوية.

لماذا يجب ان تكون حياة ومصائر العديد من الناس تحت رحمة جوردان بلاك؟ لماذا اختار رمي حجر كبير في بحيرة حياتهم ووقف جانباً ليراقب ما سيحدث من اضطراب على سطح الماء، اضطراب في حياتها وحياة هوارد وحياة كل العاملين في الشركة؟ ولماذا اختارها هي بالذات لتكون مركز القلق؟

حدقت في الظلمة ولم تجد جواباً غير كآبة قلبها. لو كانت هناك فائدة في تكرارها لنفسها مدى كراهيتها لجوردان بلاك! الكراهية، كراهيته لها... وكراهيتها له... الكراهية تحيط بها في ظلمة الليل. ودفنت وجهها في الوسادة ثم تصلبت فجأة اذ سمعت رنين الهاتف في الصالة.

وتسارعت دقات قلبها، من؟ في منتصف الليل؟

جوردان؟

قامت مسرعة، الشعلة الصباح متحالفة التفكير، ولكن ربما كان هوارد...؟ اوه، كلا، كلا....

توجهت الى الهاتف بعد ان لفت نفسها بغطاء السرير، وخشيت توقف الهاتف عن الرنين قبل الوصول اليه.

«آلو، جيردا؟ هل ايقظتك؟».

واحست بارتياح كبير حالما تعرفت على صوت ستيوارت، واحست بضعف كاد ان يدفعها الى الاعياء فجلست على الكرسي المجاور للهاتف.

واذ لم تستطع الاجابة، هتف ستيوارت قائلا:

«هل انت هناك جيردا؟ هل انت بخير؟».

«نعم، لحظة واحدة رجاء».

واحاطت نفسها بالغطاء جيداً.

«لم اتوقع اتصالك بي، واذ سمعت الرنين ظننت انها قد تكون اخباراً سيئة عن هوارد دوريل، اذ انه مريض جداً».

«آسف. لا بدّ انني ايقظتك من نومك».

وتنهّد بصوت مسموع:

«لم استطع النوم وكنت افكر بك، لذلك قررت الاتصال». واحست بالاسترخاء، حتى انها احست بالنعاسة بعد ألم المعانقة، فقالت: «في الحقيقة لم اكن نائمة انا ايضاً».

«هل انت متعبة؟».

«كلا».

«غالباً ما اتصل بسوزان ليلا لتتحدث ساعات طويلة. اذ من الرائع الاتصال هاتفياً حين يكون الآخرون نائمين ولا احد يقاطعك لكنني اردت التحدث اليك الليلة».

وتوقف بانتظار تعليقها، الا ان صمتها دفعه لمواصلة الحديث:

«كان غريباً لقاؤك من جديد. ولم يتم اللقاء كما توقعت».

«وما الذي توقعته؟».

«لا ادري، هل قضيت بعطلة نهاية الاسبوع؟».

«نعم».

قالت كاذبة.

«هل تريدين المجيء مرة اخرى؟».

«نعم» اذا اردت ذلك» ثم اضافت بعد تردد «اذا...».

واذا كان جوردان هنا؟».

قاطعها بحدة ثم باقتراح بديل:

«او اذا لم يكن جوردان هنا؟».

«الا يقضي عطلة نهاية الاسبوع دائماً في المنزل؟».

«جوردان؟ كلا، انه يكره رؤية صحبتي، جيرد؟».

«نعم».

«متى عدت الى مدار جوردان؟».

ودلّت نبرته على شك عميق.

ولا استطيع القول بانني عدت. اذ التقيت به لأول مرة. في الاسبوع الماضي، الم يخبرك بنفسه؟».

«اخبرني، ليلة الجمعة، بانه كان يتعشى مع حبيبي السابقة».

الحبيبة السابقة! هل هي كلمات جوردان ام ستيوارت؟

والتقيا مرة واحدة وكان الغرض مناقشة بعض الاعمال».

«وذلك العقد؟ استغرق توقيعه فترة طويلة، اليس كذلك؟».

اغلقت عينيها. من هو المتلاعب بالوقت؟ لم تجبه فقال:

«وما هي لعبتك؟».

«لا ادري. هل لديه لعبة معينة؟».

«بالتأكيد. لا يقوم جوردان بشيء بدون سبب».

ومن يعرف جوردان احسن من اخيه؟ وتساءلت اذا ما كان ستيوارت يعرف كل شيء. الا انها قررت، بعد لحظة تفكير، عدم احتمال اطلاعه على الخبر، اذ غادرت المكان مع جوردان صبيحة يوم الاثنين بعد توديع ستيوارت شبه النائم في حينه.

«جيرد؟».

«نعم...».

والتحقت وضعاً مريحاً اكثر اذ انها مدّت قدميها على الكرسي المجاور.

«غالباً ما تساءلت... رغم انه لم يخطر ببالي الا بعد الحادث».

«ماذا؟».

«هل كانت هناك علاقة ما بينك وبين جوردان؟».

ولا بد انه سمعها تتنهد اذ قال بحدة:

«نعم كانت هناك: لا ادري لماذا كنت اهتم، فطوال الوقت كان السبب هو اخي ولم اعرف انا شيئاً، كما لم يفتح فمه بشيء، حسناً...».

ثم بدأ ستيوارت الضحك بسخرية مريرة.

وجمدت في مكانها، صامتة. ودعاه الصمت للتساؤل:

«هل ما زلت هناك؟».

«نعم».

واجبرت نفسها على الاجابة:

«الا انك غطيء. لم يكن لجوردان لحظة فراغ يهتم فيها بي او بحق...».

«اعرف»، لا حاجة لخوفك الآن. الا تعلمين بانا كنا نصادق احياناً فتاة واحدة؟ الا ان جوردان لم يكن جاداً بامر الفتيات، وعلى ايّ حال».

لم يكن الامر مفاجئاً، الا ان اللطمة كانت باردة.

«باستثناء ديانا بالطبع».

«ديانا؟

«هل هي خطيبته؟».

«كلا، انها ترغب بذلك، الا انها ستكون محظوظة اذ نجحت».

«آه، لم اكن اعرف ذلك».

«بالطبع، نسيت غيابك عنا فترة طويلة. ان جوردان علاقة بديانا بدأت في العام الماضي» ثم اضاف بخبث «انها فتاة طيبة اذا كنت راغبة في القضايا الايطالية البديعة».

«هل هي ايطالية؟».

«كلا بل انكليزية. الا انني اعتقد انها بحاجة الى درس منك في اخضاع الرجل لسيطرتها».

وبدا ان ظلال الغرفة المظلمة اقتربت منها اكثر. فرفعت واحست بقلبها يغوص بين اضلاعها، ثم سمعت الصوت من جديد:

«بلا تعليق؟».

«بلا تعليق».

اجابت بكسل.

«اصبت بالخيبة».

«صحيح؟ ستيوارت ان الوقت متأخر جداً وأحس بالبرودة. هل تتزوج اذا...»

«باردة؟ في ليلة دافئة كهذه؟ لا بد انك...»

«نعم الجو دافئ»، لكنني يجب ان انام اذ علي الذهاب للعمل غداً. هل تستطيع النوم الآن؟»

«سأحاول. هل ستأتين لزيارتي قريباً؟»

«اذا رغبت في ذلك»

اجابت بارهاق.

«لا بد انك متعبة فعلا. انك حرة الآن حتى الغد، ليلة سعيدة».

وكانت تلك الليلة بداية اتصالاته الخاتفية الليلية بها.

وبدا وكأنه يستعيد راحته اخلال حديثه معها وغالباً ما دار حديثه عن اصدقاء هم مجرد اسماء بالنسبة اليها وعن سوزان وليون وجوردان احياناً.

لم تستطع الغداء التكالثات التلفونية رغم احساسها بالتعب الشديد عند منتصف الليل. اذ فكرت بان تعبها لا يهم ما دامت تساعد ستيوارت على قضاء لياليه الوحيدة. كما لم تستطع رفض دعوة ستيوارت لقضاء عطلة نهاية الاسبوع المقبل في منزله. وبدا لها غريباً ان الدعوة صادرة عن ستيوارت وليس بموافقة جوردان، ولن تتم بحضوره حسب ما علمت من ستيوارت. ولم يكن ستيوارت اكثر خبرة مما اعتقدت، بل كان جاهلا يخطط لغيه الجيردا. ما الذي سيقوله ستيوارت اذا علم بخطة جوردان؟ صحيح ان لستيوارت أعطاءه الا انه لم يكن خبيثاً، قد يدفعه الخوف الى التهجم، وهذا شعور انساني وطبيعي، ولن يتعمد لذلك بدونه.

ربما لم تكن قسوة جوردان ضرورية، فكرت جيردا بمرارة، اذ اكتشفت ان تعاستها ومشاعرها قد تفوقها الى التضحية برغباتها. فاذا يجب عمارية قدرها المظلم؟ يبدو ان قدرها مرسوم منذ زمن بعيد حين ستتحطم سعادة مستقبلها وتنتهي حياة من تحبهم. لقد فقدت اولا والديها الحبين ثم بابلز وحتى ستيوارت الذي احبته بطريقة تختلف عما أراده. وهوارد من تدين له بالاخلاص والمودة، وفوق ذلك طغى شبح جوردان بلائه.

لم يستطع رجل واحد امتلاك قوة تحطيم حياتها، او منحها السعادة؟ واذا استعادت ما جرى في السنوات الاربع الاخيرة تساءلت هل كان في

مقدورها سلوك سبيل آخر. هل كان بامكانها التصرف بطريقة اخرى؟ فاذا لم تستطع حتى الآن، الاستدارة وترك كل شيء خلفها؟

ثم تتوجه الى مكان آخر، اي مكان، حيث لا تعرف احداً ولا تحاول النسيان؟

بحلول يوم الخميس، كان هناك بعض التحسن في صحة هوارد. وسمح له لاول مرة بالجلوس فترة قصيرة، واحس ميرك بفرح غامر، وقال بحماسة شديدة:

«سنستعيده بيننا خلال فترة قصيرة جداً».

الا ان جيردا كانت اعلم بما يجري، انها واصلت زيارته في المستشفى وواصلت الاستماع الى تحذيرات الاطباء له، الذين حذروها من ان التوتر والارهاق سيشكلان خطراً على صحته بعد اصابته بضعف القلب وسيمرّ وقت طويل قبل ان يستطيع هوارد مواصلة حياته الطبيعية، هذا اذا نجح في ذلك. لكنها احتفظت بمخاوفها لنفسها. وكل ما عملته هو محاولتها تسليته ورفع معنوياته قدر الامكان وابعاده عن المشاكل والقلق.

واتابعها احياناً الرغبة في الاتصال بجوردان والتوسل اليه كي يلين مهما كانت العملية مهينة لها الا ان احساسها بالمرارة منعها. الى جانب خوفها من الفشل. في مثل تلك اللحظات انتابها غضب جامح لحضور ميرك السلبي الذي اكتفى بمتابعة الاعمال اليومية متكوراً بان لا سبيل لمنع حدوث ما هو مقدر حدوثه. لم يكن قلقاً ولعلّ هذا سبب عدم حصوله على مركز هوارد.

ومن الغريب انها احست بالضياع حين حلّ منتصف ليلة الخميس دون ان يتصل بها ستيوارت، فبررت سلوكه بانه، هو أيضا، ضجر من المحادثات الليلية وانه اكتشف الا ضرورة لها. او لعلّه ظن ان لا داعي للاتصال بها ما دامت ستقضي عطلة نهاية الاسبوع معه، لذلك دهشت حين دقّ الهاتف فجأة في الوقت الذي استعدت فيه لدخول الفراش.

وسألجب معي بعض المحبوب المؤمّه.

قالت مباشرة حالما امسكت بسماعة الهاتف. فاجابها جوردان:

«انني لا احتاجها اطلاقاً».

دهشت قائلا:

ومن الذي توقعت مخاطبته؟».

«سنيورات».

وانتظرت تعليقه:

«فهمت بانه كان على اتصال بك وانك قادمة لزيارته غداً».

«نعم».

«حسن جداً. لم اتوقع ان اكون بلا عمل الا اني سأمر بك عند منتصف النهار».

«لا داعي لذلك اذا رتبت كل شيء، سأذهب بواسطة القطار وسينتظرني ليون قرب المحطة».

«سأعلك معي. انه يوم مزعج للسفر بواسطة القطار خاصة اننا في موسم العطل الآن».

«لا يزعجني ذلك و. . . ».

«ان الوقت متأخر للمجادلة. سأمرّ عليك منتصف نهار الغد وستتغدى سوية في طريق الذهاب. الى اللقاء».

وأبى الاتصال الهاتفي قبل ان تعترض تاركاً إياها عدلة بسماعة الهاتف. انار الترتيب كله غضبها حتى اليوم التالي حين وصل في الوقت المحدد ودخل الى الصالة مباشرة:

«اتريد سيجارة؟».

«كلا شكراً».

ولم تكن مهيأة تماماً اذ انها احست برغبة في تأخير رحلتها معه فطلقت ارضية المطبخ عدة مرات وتفقدت: ان كل شيء بمكانه.

واذ دخلت المطبخ ثانية سألها:

«وماذا عن الموقد الغازي؟».

«لقد اطفأته».

ودخلت الى غرفة النوم لتأخذ سترتها، ثم حلت حقيبتها ووقفت في انتظاره. الا انه تمهّل في مكانه وقال:

«نسيت النافذة مفتوحة».

وبحركة واحدة قام بما كانت على وشك القيام به عند وصوله. ثم نظر اليها والى الشقة المرتبة:

«لا يبدو عليك الفرح. هل ان فكرة الزواج من اخي لا تزال تزعجك؟».

«ليس الأمر مضحكاً. واعتقد بانني اوضحت موقفي بصدد الموضوع، هل تغادر الآن؟».

«لحظة واحدة».

ويمرر فحص وجهها وعينيها الجريئتين الرافضتين دائماً للتخاذل تحت قوة نظراته.

«اعرف جيداً بانك تحتقرينني، وانك تظنين بانني قاس ومخادع الا انني ارغب في تذكيرك بشيئين، اولهما مهم جداً بالنسبة اليك. ولا اعرف بالضبط ماذا تعلقين هذه الاهمية الكبيرة على جيرنغولدز والعقد. ان رؤسائي في الشركة يثقون بي الى حد معقول فقط وانك كثيراً بانهم سيمهلونني فترة طويلة. وكل ما استطيع التفكير به تبريراً لموقفك هو وجود علاقة معينة بينك وبين هوارد دوريل، المعرّض للافلاس اذا ما خسر العقد. هل تربط بينكما علاقة ما؟».

«لا علاقة لك بالامر اطلاقاً».

«كلا، ولكن معرفة ذلك سيوضح الكثير من الامور».

«هل هناك شيء يتطلب التوضيح؟».

سألت بيرود ثم اضافت:

«لم لا تعترف بان شروطك واضحة وفجة؟».

«كلا، اذا ان الجانب الاخلاقي غير واضح».

«اخلاقي ايها آخر ما يمكن استخدامها لوصف خططك».

«كل ما تفكرين به هو وجهة نظرك وموقفك بصدد القضايا المهمة لك».

والقى نظرة سريعة على ساعته:

«بينما افكر انا بأخي وبمدى جداً حالته».

«اتساءل فيما لو كان هناك شخص او شيء يبعث فعلاً».

وانحنت لتحمل حقيبتها لكنه خطا الى الامام بسرعة وسحبها من يدها فتركت الحقيبة حالاً غافة ان تلمس يديه.

«ما الذي تريد قوله؟».

«اريد ان اقول: تقع عليك مسؤولية ثقيلة تجاه اخي ولا تحاولي ابداً

www.liilas.com

نسيان ذلك».

«وهل ستترك لي فرصة النسيان؟».

«كلا».

ثم وضع يده على كتفها قبل ان يقول:

«هناك شيء آخر...».

ووقفت صامتة، رافضة النظر اليه، محاولة ان تنهي المحادثة عند ذلك الحد، قبل ان يرسخ حضوره ذكريات مؤسفة في شقتها.

«لا أطاول الثارة العتمام اخي، ثم تحطميه بعد ذلك. اذا فعلت ذلك، اقسم بانني سأجعلك تأسفين كل لحظة».

فتح الباب وانتظر مدها المغادرة اولا ثم حرص على اغلاق الباب وقفله. وبدون ان يتفوه بأي كلمة صاحبها الى خارج البناية. واد برزا سوية، كان الجو صحواً والشمس مشرقة الا ان جيردا احست ببرودة غريبة رغم حرارة الشمس، ثم فتحت باب السيارة.

تركها جيردان لحظة وصولها مباشرة الى غرين ريغ وبعض بعض الوقت قبل اكتشافها عودته الى المدينة، وقال ستيوارت معلقاً:

«الفي ان يأتي غداً اذ اعتدت مفاجأة له».

دعدعت شيئاً ما دون ان تسمع، حقيقة، النصف الثاني من ملاحظته. لماذا اصرّ جيردان على القدوم معها؟ هل تكّيد مشقة المجيء الى شقتها ومن ثم اصطحابه لها الى غرين ريغ لمجرد اعطائها الانذار الاخير بعدد اخيه وزواجها منه؟

ولما تذكرت ان ستيوارت ينتظر جوابها، هزت كتفيها فلاحظت تقطيبه.

«ماذا جرى؟».

اجابه بسؤال آخر:

«لا شيء. ماذا يمكن ان يحدث؟».

«هذا ما انا اسألك عنه يا عزيزتي».

ومدّ يده نحو اناء يحتوي انواع الفاكهة واختار خوخة كبيرة قلّبها لحظة ثم اختار واحدة اخرى لنفسه.

«نظراتك توحي بالشعور بالذنب».

وكادت ان تسقط الخوخة من يديها، الا انها امسكتها بقوة وقضمت جزءاً منها:

«انني قلقة. كنت افكر بجوارد واشياء اخرى...».

نظر ستيوارت اليها بثبات وبدا كأنه يزن الخوخة:

«هل هذا صحيح؟ اشعر بانني خبير بقراءة تعابير الوجه وماذا تخفي».

والتقط سكيناً فضياً وازال نواة الخوخة.

«ولدي التسع من الوقت للتفكير والممارسة. لنأخذ جوردان مثلاً».

توقف عن الكلام وادركت مدى فشلها في اخفاء مشاعرها.

«كان المفروض ان يلتقي جوردان برجل اعمال مهم جداً اعلال اليوم اذ سيتوقف الرجل في لندن عدة ساعات فقط في طريقه من امريكا الى بروكسل وميونيخ. وبسبب هذه الشخصية اضافة لحمل جوردان عن وعده لديانا بقضاء العطلة معها في احد الاماكن القريبة من نهر التايمس وكانت ديانا تعاني من الصدمة وأطاول جهدها اعتصار بعض الدموع... يا لها من مسكينة، الا انها كسرت احد اظافرها وهي تقشر البصل».

«ستيوارت، انك مخلوق بائس بلا قلب. ولكلماتك نبرة فتاة غيورة».

ضحكت جيردا آملة ان تحوّل الجملة الأخيرة عن موضوع اخيه واضافت:

«اخجل من نفسك».

«كلا، ما عملته هو انني كررت كلمات سوزان في وصف ديانا. وفي الحقيقة ديانا وسوزان صديقتان مخلصتان واعتقد بانك ستكونين الثالثة».

«بلا شك هل لاحظت العصير على قميصك».

«لا يهم» وابتلع ستيوارت آخر الخوخة واضاف وبناء على ذلك، لم يضيع جوردان صباح يوم الثمين في اصطحابك الى هنا؟».

«لا ادري، اذ اخبرته الليلة الماضية الا داعي لازعاج نفسه».

«آه، خمنت وجود شيء خفيّ. اذن كنت معه الليلة الماضية».

وظهرت على وجهه سيماء الانتصار خيبة.

«كنت اعلم بانه يخدعني، محاولاً الغاعي بانك ظهرت فجأة... يريد ان يعيدك اليّ. لماذا؟ ماذا يجري حولي؟».

«انك تتخيّل الاشياء».

«كلا، ادركت ذلك في نهاية الاسبوع الماضي. وانا متأكد الآن».
وتحوّل تعبيره من شبه الجد الى الشك.
«اصغي اليّ يا جيردا. لمدة ثلاث سنوات لم تكوني انت موجودة بالنسبة الى جوردان. ثم ها انت هنا فجأة، وتبدين مذعورة حتى من ظلك احياناً والشعور بالذنب يجثم على صدرك احياناً اخرى، بينما يبدو امي الكبير وكأنه يحسب كل خطوة بعناية».
ودار ستيوارت بكرسيه حتى اصبح على مقربة منها. وكانت الحركة المفاجئة خلقت مثيرة للاضطراب فمسحت اصابعها في عصبية بمنديلها:
«اخبرتك من قبل بالحقيقة، انني لم التق بجوردان الا قبل اسبوعين».
لم يبد على ستيوارت انه اصغى الى كلماتها وعض فجأة على شفته ونظر اليها بحدة:
«انك لم تخبريه بما حدث، اليس كذلك؟».
«كلا، لم اخبره ابداً».
«شكراً لذلك والا لدفعت الثمن غالياً. اعتقد باننا نجحنا في اخفاء الحقيقة عنه... ولكن جوردان...».
وضغط يده على جبينه:
«كانت الايام التالية للحادث مثيرة للاضطراب. واذا حاول استعادة احداثها لا اجدني اذكر الكثير. كل ما اتذكره هو وجوب عدم معرفة احد بالسر فيما عداناه».
تنهدت قائلة بيأس:
«انس الموضوع، اذ لا احد يعرف سوانا الآن».
كان ستيوارت صامتاً ووشى وجهه بالتأمل ثم قال اخيراً:
«لم تكن حسني السلوك معك، اليس كذلك؟».
وابتعد عن مقعدها وسارت عبر الغرفة لتلقي نظرة على لوحة موضوعة فوق الخزانة الجانبية، ثم سألت:
«نعم، انها مزعجة».
«الا اعتقد ذلك».
وتفحصت عن قرب ما بدا لها سطحاً رملياً مهجوراً عند الغروب. كان للبحر سطح احمر ضبابي هادئ، واحاط اللوحة جو يشير الى الموت.

«وهل توجب عليك رسم اللوحة اثناء الجزر واختفاء الساحل بالاوساخ؟».
وتوقفت عن الحديث حين رأت فجأة الاشكال الخفية في اللوحة:
«متى رسمت اللوحة؟ انها مخيفة».
«هل تستهجنين وجود الجماجم؟».
وكان الرضى واضحاً في صوته كما لو ان صنعتها ارضت رغبة دفينة في اعماقه وقال:
«رسمت اللوحة خلال تأثري بلوحات دالي، وقبل ان اكتشف انني لم اكن موهوباً في الرسم، الا انها مجرد بداية».
«اعتقد انك تتمتع بصدم مشاعر الناس».

«انه واحد من الاشياء القليلة التي تركت لي لأتمتع بها، هل تريدين شراباً؟».
«نعم رجاء».
وخلط كأسين من الشراب لها واضاف بعض الثلج الى قدح جيردا ثم قال:
«حسناً، اقتربي وتناولي كأسك، وقولي شكراً بالطريقة المناسبة».
«هل تعني ان عليّ دفع الثمن؟».
اجابته بثبات محدقة في اليد الممسكة برسغها.
«أليس هذا جزءاً من الخطة؟».
وحرر يدها وابتسم بسخرية مضيفاً: «اذ انني لست غبياً كما تعلمين».
«لا اعتقد انك غبي اطلاقاً».
وتراجعت الى مقعدها حيث جلست، وسألت:
«اين سوزان وليون؟».
«ذهبا الى ايست بورت».
«الا تشعر بالغيرة؟ في حال نشوء علاقة بينهما».
اضافت بعجل، خائفة ان يسيء تفسير قولها.
«كلا، اطلاقاً اذ ان سوزان ملك لي».
تناولت قليلا من شرابها، واعية لتوترها متسائلة عن مدى تحملها

لضغوط ستيوارت. قد يكون قاسياً مثل جوردان وهذا ما يمنح جوردان الحق بالقلق على اخيه، رغم انها جادلته بشدة، في المرة السابقة، ودافعت عن موقف ستيوارت نحو الحياة، الا انها غيّرت رأيها الآن... اذ لاحظت ان عجزه احاله الى شخص محروم يعاني باستمرار ويراقب الآخرين بطريقة تدفعه الى الرغبة باضلاء رغباته عليهم. في امكانه فهم حالته بالتأكيد الا ان احساسه الحاقد كان مثيراً لاضطرابها. ولاول مرة اكتشفت قبوطا وجهة نظر جوردان بان نظرة ستيوارت الى الحياة غير صحيحة.

«وها نحن نعود الى متاهتنا موقفك. ترى هل اكتشفت بعد هذه السنوات انني اعني شيئاً لك؟ او انك النهاية الحادة للتأسفات؟».

وتولد في داخلها اقتناع مخيف بانه يعرف عطلة جوردان.

«توقفي عن التظاهر يا حزيزتي، لم لا تعترفين بانك مستخدمة لغرض تمهيد الطريق لخطوة اكبر؟».

وعلمها احساسها باللذنب وحدقت في وجه الشاب الساخر متسائلة عن الفضل حلّ للتخلص من موقفها في الخلاف بين الآخوين. الا ان ستيوارت لم يزعج نفسه بانتظار جوابها بل قال بمرارة:

«ان الامر واضح تماماً. يأمل جوردان بنجاحك حيث فشل هو».

«ولكن كيف فشل؟».

«ان جوردان شخصيته المسيطرة، ويحب ادارة حياة الآخرين، ويشبه في ذلك والدنا. انه قاس وصعب المعاشرة ويحمل بين يديه دائماً صلاحية ادارة الامور المالية... وتوقف ستيوارت عن الحديث فجأة، ثم توجه بكرسيه الى مكان قرب النافذة حيث تطلع الى خضرة الحديقة، وفضحت ملامحه غضبه الشديد.

«لماذا يجب ان اكون معتمداً عليه؟ الفى احياناً لو انني لم اولد لو لم تكن والدتي ضعيفة الشخصية لما كنت في حالتي هذه. آه ارجو ان تذهبي وتتركيني وحدي، لا اريدك. لا اريد رؤية احد».

وصدمتها فجائية الكلمات فوقفت مدهوشة، الا ان رؤيتها لرأسه المنكس على حافة الكرسي بألم جعلها تشعر بشفقة لا حد لها انستها تحاوزها وبأسها فركضت اليه وجلست الى جانبه:

«ستيوارت...» ومدت يدها نحوه وما هذا؟ الا تستطيع الحياري؟

انك لا تعني فعلاً ما قلته. انا متأكدة بان جوردان... هل انت متأكد؟...».

وتوقفت عاجزة عن التوضيح اكثر، باحثة عن تفسير لما قاله.

«انها الحقيقة. الا انك لا تريدين سماع كل شيء».

«اذا كان الحديث سيساعدك ويشعرك بالراحة، فحدثني اذن واذا كان الامر عكس ذلك فساتركك وحدك».

«كلا».

وامسك يدها، وشدها بقوة الى صدره:

«لا تبتعدي عني ثانية. لم اشعر بالحيرة الامر قبل الحادث، اذ كانت علاقتي بجوردان حسنة. فنحن لم نحاول الالتقاء دائماً والكتفيا بتبادل المجاملات دون اثارة بعضنا، ولم اكن بحاجة الى الاعتماد عليه. اشعلي لي سيجارة رجاء».

قال هذا في محاولة لاستعادة هدوئه وتجنب النظر مباشرة اليها.

وحدث ان والدتي افترقا حين كان جوردان طفلاً. لن اغيرك كل التفاصيل السيئة بل سأكتفي بالقول ان والدي كان قاسياً، متجهماً بينما كانت والدتي ضعيفة وحنونة ولم يستطيعا العيش سوية، وهذا سيساعدك على فهم الاختلاف بيني وبين جوردان.

بعد ذهاب امي تولى والدي تربية جوردان بطريقة خاصة، وارسله الى احدى المدارس حيث كان عليه النهوض عند منتصف الليل لكسر الثلج واذابته قبل الاغتسال والاصغاء لانواع الاهانات قبل تناول الافطار.

لكن والدي عاد للعيش مع الوالد حين كان جوردان في الرابعة عشرة من عمره وكنت انا النتيجة، ويفسّر ذلك اختلاف العمر بيننا. اننا نعود الى فطين مختلفين، واعتقد بانني كنت محظوظاً اذ تغيّر والدي قليلاً بعد ولادتي واصبحت معاملته اقل قسوة من السابق، لذلك لم أعان من قسوة المعاملة التي تلقاها جوردان».

«ولا بد انك كنت صغيراً حين توفي والدك».

«توفي في اليوم الثاني لعيد ميلادي العاشر. واذكر بانني غضبت لانه رفض شراء بندقية لي. ثم ندم في اليوم التالي ووعدني بشرائها. كان ذلك في الصباح الباكر. وتوفي الوالد مساء».

وهز ستيوارت كتفيه مضيفاً:

«وتحمل جوردان مسؤولية ادارة الاعمال مباشرة وكان مركز والدي ملائماً تماماً لجوردان الذي احتلّ مكانه في كل شيء بشكل طبيعي».

قالت جيردا معلقة بنعومة:

«كان لا بد من وجود احد يتحمّل المسؤولية. ولم يكن هناك احد غير جوردان».

وبقي ستيوارت متوتراً، فاحست بالحاجة الى التوضيح اكثر، رغم كراهيتها لاتخاذ موقف مؤيد لجوردان:

«قد تجد ان كل شيء صعب الآن. ولكن بالنسبة الى جوردان، فحاول الحكم عليه بتزامة، فهو قام بكل شيء يستطيع انسان القيام به من اجلك».

«آه، نعم، اقرّ بذلك. ولكن لماذا لا يدعني انجز الاشياء بطريقتي انا؟ ما الذي يفعله؟ انه يأتي دائماً للتأكيد علىّ، ليتفقد اصدقائي، انه قاس في سلوكه نحو سوزان، يلقي علي المحاضرات حول السلوك الحسن، ويصرخ منتشكياً اذا ما استلم قائمة مصروفاتي. ما الذي يتوقع مني عمله؟».

لم تعلق جيردا بشيء، اذ لم تجد شيئاً تقوله، لأنها وجدت ان كلا الاخوين محقان وخطئان في الوقت نفسه. الا انها لم تجد حلاً ملائماً... باستثناء...

«جيردا، انا في انتظار رأيك».

ونظر اليها مبتسماً.

«هل انت بانتظار معجزة تحلّ كل مشاكلك؟».

«كلا، بل في انتظار حديثك الحيوي المقنع».

«وحديث حيوي؟ ماذا تعني؟».

«لا تتظاهري بالبراءة. اعرف ان مجيئك تمّ بترتيب من جوردان آملاً ان يعيد اليّ حيويتي وشعلة الحياة في داخلي. ان تحاولي اقناعي باجراء العملية في المانيا، اليس ذلك صحيحاً؟».

كان قريباً من الحقيقة وامتلكها احساس بذكر كل شيء له، الا انها نجحت اخيراً في التخلص من ذلك الاغراء، اذ ليس في مستطاعها

احداث قطيعة اكبر بين الاخوين، مهما كانت الاسباب الدافعة لذلك. ثم ان ستيوارت كان محطماً في شكوكه. قد يكون جوردان مخالباً في سلوكه الا انه كان بالتأكيد مهتماً بستيوارت الى حد لا يمكن انكاره. الى حدّ انه كان مستعداً لتحطيم حياتها وحياة آخرين من اجل اعادة الامل الى اخيه.

واحست بالكآبة لتنابيها اذ لم تجد سوى هذا الجواب تتلفظ به:

«كلا، ستيوارت. ان حكمك خاطئ». لم يذكر جوردان كلمة واحدة عن اجراءات العملية، قبولك او رفضك ايانا. واقسم بذلك».

ولكنه سيثير الموضوع حتماً».

هزت رأسها مرة اخرى، عاجزة عن هز شكوكه رغم جوابها المقنع.

«حسناً، اذا ما ناقش الموضوع معك فاني لا ارغب بسماع اي شيء عنه وخاصة منك يا جيردا. انها حياتي وليس لاحد الحق بتوجيهي الى ما افعله او لا افعله. هل تفهمين؟».

اومأت ايجاباً وساد بينهما الصمت للحظات قصيرة. ثم استدار بكرسيه متوجهاً الى المكتب الصغير حيث فتح احد الادراج وتناول منه قنينة حبوب فتحها، ثم التهم حبتين في آن واحد.

«وما هي هذه الحبوب؟».

سألت لأنها احست بالحاجة الى كسر طوق الصمت حولها اكثر من احساسها بالفضول.

«حين يبدو العالم مظلماً، تساعدني الحبوب على تحمله... جيردا...».

«نعم».

واستدارت نحوه واحست بالخوف لرأى نظرته المزلة واذ مد يده نحوها لم تجد امامها غير الرضوخ لطلبه وامسكت يده محاولة الابتسام في الوقت نفسه.

«حاول الابتسام يا ستيوارت والا اتهموني بالاساءة اليك اذا ما عادوا ووجدوك في هذه الحالة».

«انهم يعرفون مزاجي احسن منك يا عزيزتي. هل انت متأكدة ان جوردان لا يستخدمك في احدى لعبه؟».

«فليجبرك على تغيير رأيك؟ كلا، لم اعرف بالموضوع حتى اخبرتني».

ولا بد ان شيئاً ما في نظراتها الثابتة القمه، اذ اومأ برأسه رغم الخاجه بسؤال جديد:

«ولكنك توافقيه الرأي، اليس كذلك؟».

«نعم، ولا اعتقد بانني لن احاول الداعك باعادة التفكير في المسألة».

وحدّق في وجهها لفترة طويلة كما لو رغب في اكتشاف الحقيقة في ملامحها، ثم قال:

«هل سيهمك ما سيحدث لي؟».

«بالطبع يهمني الامر. لا تزال حياتك امامك وعليك الا تيأس ويجب الا تضيّع حياتك».

«اذن انت تؤمنين فعلا بوجود معجزة قريبة؟».

«كلا، لا اؤمن بوجود معجزة، بل اؤمن بوجود الامل».

لثمّه بعمق ومس يدها بحنان:

«جيردا، لا تتركيني مرة اخرى رجاء. عديني بالبقاء».

liilas.com

nlo

٥ - الصباح يجلب الغيوم

عادت سوزان وليون بعد فترة قصيرة بالضائع، بعدما تسوقا في ايست بورن.

كان ترحيب ليون بجيردا ودياً، الا ان سوزان ابدت وبوضوح شكوكها بصدد الزيارة ولم تبذل اي جهد لاخفاء مشاعرها. كانت سوزان صغيرة الجسم، ترتدي بنطالاً اخضر وقميصاً مزيناً بورود صغيرة وسيطرت على جو المكان كله طوال فترة العشاء وتجاهلت حضور جيردا كلية. الا ان ستيوارت بدا في مزاج افضل، لذلك صارعت جيردا رغبتها في اللجوء الى السكوت طوال الوقت وحاولت الا تظهر لها حين اجتمعوا بعد العشاء في شقة ستيوارت للاستماع الى الاسطوانات الجديدة التي اشترتها سوزان في ايست بورن.

اطفأ ليون بعض الاضواء ومع بدء الموسيقى تحلت سوزان عن تظاهرها الكاذب بالمرح، فركنت الى الصمت لفترة طويلة، مستلقية على الكنبة وعدقة في سقف الغرفة. وحين انتهت الاسطوانة رفضت المشاركة في مناقشتها. الا انها استعادت نشاطها فجأة حالما وضع ليون اسطوانة اخرى موسيقاها جزء من موسيقى فيلم شعبي معروف. فحملت مقعداً صغيراً وسارت متوجهة نحو ستيوارت وجلست الى جانبه وبدأت تناوشه كما لو ارادت اظهار عواطفها للحاضرين.

لم يحاول ستيوارت منعها او تشجيعها بل اكتفى بالابتسام وعلى وجهه تعبير يوحي بأن افكاره بعيدة جداً عن المكان، كأنه لم يشعر بالذراعين النحيفتين تلتفان حوله واليد الناعمة تلمس وجهه بحركات بطيئة.

واخيراً، ركعت امامه واستدت رأسها الى حضنه، وتركت شعرها الأسود الطويل منسدلاً على ساقيه. نظر اليها وبدأ يتمسيد شعرها محركاً اصابعه بخفة في خلاصته.

لم يبد التأثر على ليون للمشهد العاطفي، الا ان جيردا اضطربت لذلك. اذ لم تستطع ابداً اظهار عواطفها وحبها لشخص امام الآخرين ولم تفهم كيف تستطيع سوزان ذلك امامها. حاولت التركيز على سماع الموسيقى والنظر الى الجهة الاخرى فسمعت ليون يضحك ضحكة قصيرة، واذ نظرت رأت ان ستيوارت دفع كرسيه الى الوراء ببطء ولم تشعر سوزان بحركته فوقعت ارضاً.

وتحول ليون وجهها الى لون قرمزي لشدة الغيظ:

«وحش، وحش».

صرخت بصوت عال:

«اكرهك، اكرهكم جميعاً».

وبدأت البكاء بشكل مفاجيء ثم غادرت الغرفة حالاً.

ونظرت جيردا بدهشة الى الرجلين، هزل ليون كتفيه استهزاء بينما عبس ستيوارت بقسوة:

«لا تقلقي ستتخلص من هذه النوبة بسرعة. ان عزيزتنا سوزان مخلوقة مزاجية».

«ولكن الا يذهب احد...؟».

واشارت برأسها نحو الباب.

«كلا، لن تشكرك لذلك».

وعدل ستيوارت الكرسي المقلوب:

«بل انها في الحقيقة تتمنع بالبكاء كثيراً. الا ترغبين بالجلوس الى جانبي وتمسيد رأسي المتعب؟».

واشار الى المقعد المجاور له.

«كلا، لن افعل ذلك».

وأحست جيردا بأنها غير قادرة على العمل اكثر. وتذكرت احساسها بالارتياح حين علمت بعدم عبور جوردان لفضاء الليلة في المنزل، لكنها ندمت لذلك الاحساس الآن وانتبت وجوده. اذ في استطاعتها التنبؤ الى حد

ما بخطوة جوردان التالية عما يقودها الى تحصين نفسها ضده تبعاً لذلك. الا ان الأمر يختلف مع ستيوارت اضافة الى وجود سوزان المضطربة عصبياً. نهضت من مقعدها متمتمة بعذر ما وغادرتهما بسرعة متوجهة الى غرفتها.

كان سكون المنطقة ليلاً وهدوءها مثيراً للاكتئاب او هذا على الأقل ما شعرت به جيردا، كان الهواء حاراً وهي على استعداد للترحيب حتى بصوت السيارات المسموع عادة خارج شقتها.

بينما لم تستطع هنا حتى سماع همسة واحدة، وهكذا قضت ليلة بدت وكأن لا نهاية لها.

وجلب الصباح معه الغيوم والرعد، واذ نظرت جيردا من النافذة وتساءلت عما يجب ان تفعله: تغيير ملابسها او العودة الى الفراش من جديد.

كانت الساعة السابعة ولم تسمع ما يشير الى استيقاظ اي شخص آخر في المنزل. جلست على حافة السرير وراقبت تجمع الغيوم السوداء من خلال النافذة. هل يتصرف ستيوارت وسوزان بهذه الطريقة دائماً؟ جدال، حب، وعراك؟ وبدت جيردا صورة علاقة غريبة. اي سعادة يجدانها في تلك العلاقة؟ وما هو موقفها من المسألة كلها؟ وكلما امعنت النظر والتفكير لم تجد غير التعاسة. الم يستطع جوردان رؤية ذلك؟ لماذا لم تتملك الجرأة على العناد؟ ان الهرب قبل ان تقع في الصيدة تماماً... حتى لو عنى الأمر خذلان هوارد. حتى لو... واعادها الى الحاضر صوت قرع الباب ثم سمعت صوتاً يقول:

«هل استيقظت؟ الشاي جاهز».

وفتح ليون الباب. ومن دون ان يرتبك لوضعها المشوش، وضع الصينية جانباً ثم توجه نحو النافذة.

«هل اسحب الستائر؟ او اتركها لتصد ضوء النهار؟».

«اسحبها رجاء. شكراً لجلبك الشاي اذ لم اتوقع هذا».

ابتسم ليون بهدوء وقال:

«اقوم باعداد الشاي كل يوم احد وهكذا تتاح الفرصة للسيدة بي للحصول على بعض الراحة».

وبدا عليه الاستعداد للمحادثة فسألته بكسل:

«فأنا تدعوها السيدة بي؟».

«الآن اسمها الحقيقي هو بريدنهام ونحن جميعاً كسال».

«آه».

وبدأت تتناول بعض البسكوت مع الشاي وساءلت نفسها عما اذا كان ليون عرضاً مؤهلاً، وكيف يستطيع التلاءم مع مزاج ستيوارت المكتئب؟ اذ بدا لها شخصاً سهل العشر ويتمي الى العائلة. لا بد ان ستيوارت محظوظ لبقائه معه.

رفعت عينيها ودهشت لنظرة ليون، ثم قال بمرح:

«ليست الأمور سيئة الى الحد الذي تفكرين به».

واذ واصلت التحديق في وجهه واصل:

«كنت قلقة في الليلة الماضية ولم استطع قول اي شيء في حينه، الا انني فكرت بالحديث عما حدث الآن. ظاهرياً، يعامل ستيوارت سوزان بقسوة وتستجيب هي لسلوكه مثل عبدة صغيرة. الا انها في الحقيقة متفاهمان جداً. والأكثار اهمية ان حضورهما سوية يزود احدهما الآخر بصمام امان».

توقف عن الكلام واستدار ليغادر الغرفة الا انه توقف عند الباب قائلاً من جديد بابتسامته المؤدبة:

«لا تدعي الأمر يقلقك ولا تظهري القلق».

لم تكن ملاحظته اعتذاراً بل كانت نوعاً من التحذير والمنع. منعها من ماذا؟ وتساءلت بعد مغادرته. وتزايد اقتناعها بسلوكه التحذيري اثناء تغييرها ملابسها. ولكن لماذا التحذير؟ ولم تستطع التخلص من افكارها رغم حلول النهار، كما لم تستطع فهم تحذير ليون وتذكرت خوف جوردان من زواج اخيه بالفتاة الغريبة المحبة وتساءلت عما اذا كان ليون على معرفة بشيء يجهله جوردان. هل خطط للتهرب من تخطيط جوردان؟ واذا كانت الفكرة صحيحة، فما علاقتها بالموضوع؟ هل كانت تتمنى منع الزواج؟ ما الذي سيحدث لو امتلكت قوة جوردان وسيطرته؟

كانت سوزان مرحة ذلك الصباح الى حد لا يتناسب والفجارها العاطفي في الليلة الماضية. توجه الجميع الى الحديقة بعد انتهاء الافطار، ووجدت سوزان لعبة قديمة: عمود نصبه في زاوية من الحديقة وحلقات رمتها محاولة احاطة العمود بها، من مسافة معينة. ولم تبد اهتماماً بالاذى

الذي الحقته بالاعشاب بل واصلت اللعب بشكل طفولي وشاركها ليون اللعب لبعض الوقت. ولاحظ ستيوارت ملابسها قائلاً:

«انك تبدين مثل ملكة القلوب في تورتك الفرمزية».

«لا يهمني ما تقوله».

واطلقت شتيمة بصوت عال لفشلها في وضع احدى الحلقات في مكانها الصحيح.

«اني اقوم بهذا من اجلك، اتعلم هذا؟».

«نعم دون ان اتحرك من مكاني».

«يا لك من وحش!».

«ولكنني اعرف انك تحبينني».

وانتاب جيردا احساس غريب بالحضور في المكان وعدم الحضور في آن واحد. وبدت الحقيقة جزءاً من قصة «البس في بلاد العجائب» وواصلوا اللعب حتى بدء سقوط المطر، حينئذ اقتربت سيارة سباق بيضاء من المنزل، توقفت عند الباب الخارجي. نزلت من السيارة فتاة زنجية ترتدي قميصاً ابيض وبنطالاً ضيقاً، حيّت الحاضرين بألفة وسارعت لدخول المنزل.

«مدام ستيوارت قائلاً:

«هل جلبت المطر معك يا ديانا، هل تحرقين جيردا؟».

وعرف ديانا بجيردا.

اومأت الفتاة برأسها تحية وقفضت عن ملابسها قطرات المطر قبل ان تسأل:

«اين جوردان؟».

«غير موجود. لماذا هل توقعت حضوره معنا؟».

«نعم، هو طلب مني المجيء، هل ما زال مقيداً بصفقته التجارية، ام ماذا؟».

«ان صفقته حاضرة الآن معنا».

وأومأ برأسه تجاه جيردا.

«حقاً؟».

ونظرت الى جيردا متفحصة بنظرات عدائية، ثم قبلت الدعوة لتناول

الشراب والخلت مكاناً مريحاً متصرفة كما لو كانت في منزلها.

لم تكن ديانا جميلة بالمعنى الكلاسيكي. فقد كانت عيناها صغيرتين وشفتاها ممتلئتين، الا انها كانت جذابة وذات ملامح متناسقة وجسد جميل. وكانوا على وشك الانتهاء من تناول وجبة الغداء حين قدم جوردان. وبدت عليه الدهشة لرؤية ديانا وانتقل بنظرته الخاطفة الى جيردا ثم الى ديانا من جديد قبل ان يقول:

«لم اتوقع رؤيتك اليوم هنا».

وابتسمت براحة وقالت:

«الم تعلم؟ اراد ستيوارت ان يفاجئك».

قطب جبينه قائلاً:

«انا متدهش الى حد يثير الضجر. الا انني لا استطيع البقاء معك يا عزيزتي».

«لا بأس لذلك، هناك الغد وكل الأيام المقبلة، هل تناولت بعض الطعام؟».

«نعم، الا انني سأشرب القهوة معكم».

ورافقها تصب القهوة ثم تحملها له. وجلست على ذراع كرسيه محركة ساقها بيدوء في الهواء. انحنت بنعومة تجاهه حتى مست بجسمها كتفيه ولم يحاولا اخفاء مشاعر الالفة بينهما وساد بينهما جو من الوئام اذ واصلت ديانا الحديث اليه بطريقة ناعمة لم يسمعها الأخرون. حاولت جيردا الا تراقبها. هذه اذن قناة جوردان!

وشعرت بالغيرة رغم علمها باستحالة العلاقة بينهما، فاذا تخيلت ان جوردان يعيش وحيداً؟ كان جوردان في منتصف الثلاثينيات من عمره وغير متزوج، ومن حقه اقامة علاقة مع اي فتاة يحبها.

الا ان ديانا كانت بسيطة جداً ومثيرة... وقبلت جيردا سيجارة قدمها اليها ليون وصممت على تجاهل جوردان، الا ان تجاهلها لم تتوقف عن تصور اللحظات المشتركة بينه وبين ديانا.

واستمر هطول المطر طوال الظهيرة. وغادرهم جوردان عند الساعة الثالثة معتذراً بضغط بعض الأعمال المستعجلة.

لم تبد ديانا ارتياحها لذلك واخبرته بصراحة. الا انه لم يتأثر بالحاحها

ونظر اليها باستقامة قائلاً:

«عزيزتي اظن انك تعرفينني الآن بشكل افضل من السابق، اذا لا اقوم عادة بوعد فتاة بقضاء العطلة معها وتجاهلها اثناء ذلك. لهذا الغيت وعدي معك».

«ولماذا اذن دعيت الى هنا؟».

قالت وهي تتجه الى الباب.

«لكنني لم ادعك».

ولمس خدها بيده واحست جيردا بالألم يعتصر قلبها واضاف:

«الا انه لا يتوجب عليك مغادرة المكان. ابقي واعتبري نفسك في بيتك».

وكأنما تخلص من ديانا، استدار ولم يخاطب شخصاً معيناً بل قال بشكل عام:

«ارجو ان يطلب احدكم من السيدة بي جلب شراب مبرد لي حوالي الساعة السابعة».

استجاب ليون لطلبه، ثم غادر المكان ليتوجه الى مكتبه حيث يستطيع انجاز عمله.

بقيت ديانا معهم حتى الخامسة ثم غادرتهم، ولم يحاول احد اقناعها بالبقاء وتلكت جيردا الرغبة بمغادرة المكان هي ايضاً. لكنها، بدلاً من ذلك، توجهت لمساعدة ليون لازالة الصحون والاكواب بعد تناول شاي العصر، وشعرت بالامتنان لأنها وجدت عذراً يبعدها عنهم حتى لو تطلب العذر ان يقوم الضيف بغسل صحون مضيفه.

واستمر المطر بالهطول وكان لوقع سقوطه على النافذة تأثير منوّم، سيطر عليهم جميعاً واشعرهم بالضجر، قال ستيوارت معلقاً:

«انه يوم احد انكليزي نموذجي».

وكان هذا اسوأ عطلة قضتها جيردا في حياتها، وحاولت جهدها تعزية نفسها بانه لم يبق غير ساعات قليلة لانقضاء اليوم كله وستغادر غداً صباحاً في وقت مبكر، عائدة الى روتين حياتها العادي.

جلس الأخرون لمشاهدة فيلم تلفزيوني بعد ان اعدوا كؤوس شرابهم وصحونهم محلومة بالفستق وشرائح البطاطا المقلية. واذ حل الظلام

اصبحت جيردا اكثر قلقاً وتخلت اخيراً عن جهدها في محاولة التركيز على شاشة التلفزيون ونهضت من مكانها، بهدوء. لم يلحظ احد تسللها فتوجهت الى جزء الحديقة المزود بسقيفة تمنع المطر.

واخيراً توقف المطر عن السقوط، واصبح الهواء منعشاً ولمست بطء في المر المحيط بالحديقة. لم ترغب بالبقاء فترة طويلة في الخارج، خاصة حين برد الهواء واحست برعشة برد تسري في اوصالها. وقررت، بعد دقائق العودة الى الغرفة فسارعت خطواتها ولكنها توقفت جامدة في مكانها لحظة وصولها بباب الشقة.

اراحت يديها على مقعد الحديقة وواجهت سبب قلقها. كان جوردان بالاك في المنزل الآن واحست بوجوده دون ان تدخل، رغم الحائط الفاصل بينهما. وفجرت افكارها صورة دنيانا، وقررت الا تذكرها لاي شخص آخر. كانت مشاعر كراهية مختلطة بالحسد والشفقة والحنين الحقوني. كرهتها لأنها كانت واثقة من نفسها ويطغى حضورها على حضور بقية النساء في اي مجتمع. احست بالغيرة لأن دنيانا جزء من حياة جوردان وربما لأنه احبها بقدر ما سمحت له طبيعته بحب اي امرأة، ولأنها عرفت معنى وجوده العاطفي والانساني اكثر من اي شخص آخر. الا ان جيردا احست بالشفقة لأنها افتركت ان دنيانا ستعاني من علاقتها بجوردان عاجلاً ام آجلاً. اذ ان اي امرأة حمقاء تحب جوردان ستأذى بطريقة ما، ما لم تكن دنيانا عاقلة ما فيه الكفاية لتلا تحبه. ربما كانت ذكية، مستعدة للاحتفاظ

والعطاء دون السقوط في فخ الحب. ربما تمتعت بالشكل الظاهري المناسب للعلاقة والمشاركة، خاصة ان جوردان سخي من الناحية المادية وكانت جيردا واثقة من ذلك.

ارتجفت واستدارت بسرعة لتتهرب من افكارها فوجدته واقفاً خلفها. شهقت وتراجعت بشكل لاارادي:

«لم اسمعك».

وكنت على بعدة امتار من هناء.

ووضع يده على المقعد كما فعلت هي من قبل ونظر اليها:

«بدا عليك محاولة الوصول الى قرار... اليس كذلك؟...».

«لم احاول شيئاً خاصاً».

«هل وجدت العطلة غنية للأمل؟».

«كلا، بل انها مبتلة بالمطر».

«صحيح»، ودهش لارتجافها «ماذا حدث؟ هل تشعرين بالبرد؟».

«كلا، نعم، اعتقد».

«قروي بسرعة. او ربما تريدين مني اتخاذ القرار بدلاً عنك؟».

وضع ذراعيه حولها وشدها الى صدره رغم تشنجها.

«كلا، ان الوقت متأخر الآن. لو لم ترغبي بالحديث الي فربت مباشرة. الا انك لست من النوع السريع في اتخاذ القرارات. اليس كذلك؟ الا انك ترتجفين برداً...».

وبدأ بتدليك ذراعيها لامساً نعومة قميصها الحريري.

«لم لا ترتدين شالاً؟».

«وخرجت لاختناق الجو في الغرفة، جوردان، اريد ان اتحدث معك...».

«اخبريني بما تريدينه، انا الى جانبك».

«نعم، لكن...».

وامسكت ظهر المقعد بقوة حتى شحبت، كان اقترابه منها مدمراً لمشاعرها ولم تعد قادرة على التفكير بأي شيء.

«وليس هنا، ليس...».

«وليس ماذا؟».

واجبرها على مواجهته، شادّاً ذراعيه بقوة اكبر فلم تجد امامها غير النظر اليه بعينين يالستين.

وانعكست السماء المظلمة على زجاج النافذة، فمنعت جيردا على تبرير موقفها.

«قد يرانا سيتوارت او اي شخص آخر...».

«لا اعتقد ان لذلك اهمية. بل قد تكون هذه فكرة جيدة، الثارة غيرة ستيوارت قليلاً، انه سيساعد على العودة الى المشاعر الطبيعية. لماذا اذن لا تقوم بذلك؟ انك ما زلت حليفة لي... اليس كذلك يا جيردا؟».

وجذبها نحوه اكثر، واحست جيردا بخطورة موقفها وسيطرته الكاملة

عليها وادركت بانه يعلم جيداً مدى قوته وبرغبتها فيه ايضاً.
وساعدتها افكارها الأخيرة على التصميم على مواجهته للمرة الأخيرة، بكل كبرياء فهمست:
«كلا، لست حليفة لك، لست سلاحاً تمتلكه بين يديك لتؤذي به ستيوارت. اتركني».
ضحك بنعومة فرأى يديها الصغيرتين تضربان صدره بلا فائدة.
«لكنني لا اريد تركك. فانني احب التحاور معك، انك صغيرة وباردة مثل الفولاذ ولكنك لست قوية مثله».
وامسك بيديها، فلم يعد بامكانها ابداء حتى تلك المقاومة الضعيفة، فاومئه عيناً ومالت برأسها جانباً:
«كلا، الا تذكر ما قلته تلك الليلة في توبي؟».
«ماذا قلت؟».
«انك لن تنسى حتى لو كنت آخر امرأة».
وتكسر صوتها امام رهبانه وبدا أن ما قاله زاده اثارة.
«ذلك ما قلته حينئذ. ونحن الآن في وقت مختلف. ان لك مغايرتك الخاصة يا جيردا. انك تحد صعب لأي رجل».
«لم احاول ابداً تحديك».
«كلا، انظري الى الان ما لم تكوني عالمة».
وغدرتها فجأة الخاصة وكلماته المنطوقة بصوت خافت.
وواصلت محاولتها المقاومة، حاولت التغلب على ضعفها ورغبتها في الاستسلام:
«لن تتغير ابداً. انك تستخدم الناس للوصول الى غاياتك فقط. انك قاس وبلا رحمة».
«هل انا كذلك؟».
ولم تؤثر فيه كلماتها ولم تتغير نبرة صوته.
واحست بالخطر يطفى عليها غير مصدقة لما سمعته اذناها وارتجفت غيظاً واحتقاراً له:
«انك حقير، انني اكرهك! اكرهك الى حد لا يصدق».
ارتخت ذراعاه، وللحظة ظنت بانه على وشك ان يضربها. الا انه ابتسم

بطريقة آلمتها اكثر:
«انا حقير الان. انك لم تتغيري يا جيردا».
وحدق في وجهها فترة طويلة ثم قال ببطء:
«اتساءل من هو المفتري منا. تعالي معي. هناك شيء اود ان تريه».
وسرت رعشة الخوف في جسمها وتسمرت في مكانها بلا حراك، مما دفعه للقول:
«لا حاجة بك للوقوف بهذا الشكل متظاهرة بالبراءة، لجيدين منح قبلة الموت لأي رغبة انسانية».
ودون ان تنطق بشيء تحركت دون ان ترى اتجاهها وانبعثت الدموع على خديها، وتبعته وانحرفت بجسمها بعنف حين اصدمت به لدى محاولته فتح الباب المؤدي الى مكتبه.
كانت الغرفة معتمة وبدا لها ان للظلال اسراراً غامضة. وقفت عند الباب خائفة مما سيحدث ومدركة في الوقت نفسه ان مصدر خوفها الوحيد موجود الى جوارها في شخص جوردان. عطا في الغرفة واضاء المصباح. توجه الى الطاولة الصغيرة واعد كأسين من الشراب، ناولها احدهما الا انها قالت:
«كلا، شكراً. انا...».
«اشرب حرقة».
وبدأ يشرب ما في قدحه.
قالت:
«وماذا في الأمر؟ اذا كان لذلك علاقة بفكرتك المستحيلة فانني لا ارغب بالاتصالات اليك. اتخذت قراري واخبرتك به من قبل، ولن اسمح لك بوضعي ضمن خططك. لن احاول رؤية ستيوارت مرة اخرى ولن احاول اقناعه بفعل شيء ضد ارادته اذ عاش حتى الآن ما فيه الكفاية».
واحست بالغضب يغلي في داخلها فصرخت:
«كلا لن افعل ذلك ولن تجبرني... هل تسمع؟».
لم يبد عليه انه سمع بل كان يعبث بمجموعة ملفات موضوعة في حقيبته الخاصة الى ان عثر على ما كان يبحث عنه فسحبه.
كان ملفاً كبيراً، فتحه وبعثر محتوياته. كانت هناك مجموعة من الصور،

www.liilas.com

صفحات مملوءة بالملاحظات اضافة الى اوراق ملونة خالية من الكتابة وما بدا كأنه تصميم احد الفنانين لغلاف ما.

استقام جوردان وبدا التصميم على وجهه الجامد.

«هل تتذكرين هذه؟».

وشعرت بالخوف ولم تستطع الاجابة على سؤاله.

«انظري».

وأشار الى الملف الموضوع على المكتب بلا اكتراث.

«كيف حصلت عليه؟».

«سلمني اياه وكيل لنا يوم الجمعة».

وبدا صوته منبعثاً من مكان بعيد. التقط واحدة من الصور وحدق فيها بشكل ساخر ثم التقط الغرى بيده اليسرى مدققاً لفترة طويلة ثم وضعها على الملف.

اغلقت جيردا عينيها واستندت الى الكرسي المجاور. لاحظت في نظراته ادانة للصور الجميلة، ادانة اشعرها بالخجل. كيف عثر عليها؟ كيف يستطيع فهم طبيعة صورها الملتقطة عند ساحل البحر، وكيف يستطيع تقدير عمق كآبتها عند التقاطها للقرارها الحاسم قبل اربع سنوات؟ كم هي فظيعة طبيعة خطته الخائبة!

نظر اليها دون ان يتأثر ببأسها التراجيدي وقال بلا اهتمام:

«افروديت في الماضي والحاضر. يجب ان اعترف بسحرك رغم عدم نضجه حينئذ.».

وتناول قدح شرابه مواصلاً:

«اخبريني هل تطلب الأمر منك شجاعة كبيرة، ان تدعي عدسة الكاميرا فرصة كشفك للعالم كله؟ ورغم الحالة الفنية المحيطة، الا اننا لا نستطيع غير رؤية النوارس والأمواج وبيرز من بين الضباب جسد حورية البحر. يجب ان اعترف بموهبة المصور اذ انه بلا شك فنان كبير».

واقسم المصور بأن لا احد يستطيع التعرف الى. وتم التقاط الصور لغرض معين وقال بانه لم يرغب باللجوء الى «موديل» محترفة لأنه لم يجد واحدة منهن ملائمة».

«ما عدا ذلك لغرض شبابك وبراءتك!».

«كرهت نفسي بعد ذلك. الا انه عرض علي مبلغاً كبيراً من المال وطردته في البداية. الا ان شيئاً هاماً حصل فيما بعد فاحتجت الى المال».

وتحشرج صوتها وحاولت السيطرة على نفسها. وحبجزت دموعها التساقطة فمسحت وجهها بظاهر يدها:

«ماذا حصلت عليها؟ لماذا؟».

«انها من بين مجموعة ارسلت الينا لنختار بعضها لتقويمنا السنوي القبل».

ونطق الكلمات بطريقة دفعت الدماء الى خديها.

«وناقشنا موضوع استخدام العنصر الانثوي لدعاية منتوجاتنا، وتذكر احدهم التقويم العالمي القديم المشهور حالياً في ارجاء اوروبا». رغم انه لم يوزع في انكلترا».

«هل تعني. هل تعني ان ويتفورد تريد. . .؟».

واجتاحها الرعب. فكرت بأمها، يزوج امها الغادي، الفخور بها والذي التقت به مرتين فقط بعد زواج امها.

همست دون ان تجرؤ على تصديق ما يجري حولها:

«لكنك لن تنفذ الأمر؟».

«ما الذي يدفعك للظن بأني لن انفذه؟».

احنت رأسها وسقطت يداها الى جانبيها. لم يجب ان تتوقع الرحمة من جوردان بلاك؟

«اني قاس. اني حقير» قال ببرودة ولكنها مسألة اعمال. بضاعة بعتها منذ اربع سنوات. فلماذا لا افيد منها؟».

كان المضمون واضحاً تماماً. وكان ذلك تهديد جوردان الثاني.

٦ - هل الزمن علاج؟

استفاد الصديقان بين جيردا وجوردان قواعداً، وتركها مرتبكة كما لو كانت تعاني مرضاً حاداً. وجدت نفسها خارج غرفتها دون ان تذكر كيف وصلت هناك، وشعرت بحاجة ملحة للعودة الى فراشها لتسترخي وتتناول شراباً يبلل حلقها. الا انها لم تجد في نفسها القوة على العودة الى الطابق الأرضي للحصول على الشراب. فركضت الى الحاجة الاخرى الى الوحدة.

فتحت باب الغرفة نصف المفتوح، لكنها تراجعت امام سوزان لامون.

«اسرع مما توقعت، ظننت انك ستبقين فترة اطول مع جوردان».

وعادت سوزان الى الغرفة والى مكانها على سرير جيردا.

نظرت بعناد الى وجه جيردا الشاحب وقالت بهدوء:

«اريد ان اتحدث معك».

«فيما بعد رجاء».

ولم تستطع للحظة ابعاد عذر تبعد به نظرات الفتاة القاسية عن وجهها، ثم قالت:

«انني مصابة بصداع فظيع».

واذ قالت ذلك ادركت بانه كان صحيحاً وشعرت باليبوسة والمرض.

توجهت نحو حوض الماء الصغير وبللت وجهها بالماء البارد ثم جففته بالمنشفة دون ان تهتم بمكياجها.

«انك في حالة سيئة، هل سيغمى عليك؟».

«كلا».

اجابت جيردا ببلاهة ثم جلست على النضدة الصغيرة وتناولت

منديلها، لتمسح به ماكياجها وتحاشت في الوقت نفسه نظرات سوزان المتحفزة من خلال المرآة.

«ماذا تريدين؟».

«ان اعرف ما هي لعبتك بالضبط؟».

لعبة، وتنهدت جيردا. لا بد ان العراك مع سوزان سيكون آخر اهانة لها. قالت بصوت ايكه التعب:

«قولي ما تريدينه رجاء ثم اتركيني. انا اشعر بانني مريضة».

«هل تعرفين ما الشعر به؟ لماذا عدت الى هنا؟».

«لانني دهبت للمجيء».

«ليس ذلك صحيحاً. جئت لأن جوردان يريد انهاء علاقتي بستيوارت» او هو يعتقد بأنك قادرة على ذلك. ليس بإستطاعتك ذلك، واذا كنت عاقلة فلا تحاولي ايضاً. لم تريدي ستيوارت منذ ثلاث سنوات ولا اعتقد بانك تريدينه الآن».

ثم نهضت عن الفراش وقالت بغضب:

«ابتعدي واتركينا وحدنا».

«اصغي الي. حاولي تصديقي. ما اريده هو سعادة ستيوارت ومستقبله».

«استطيع انا القيام بذلك لانني احبه».

«اعرف وانا ايضاً احبه برغم شكي في قدرتك على فهمي».

«افهم جيداً. انك تشتهين البقية. ان الجميع يرغب براحة ستيوارت وليس هذا ما يريده. انكم جميعاً عميان لا ترون ما اراه».

وكان لكلمات سوزان وقع الحقيقة، حقيقة لا يراها احد عداها، ثم اضافت بنعومة:

«ليس هناك شك ولا غموض فيما هو الأحسن لستيوارت، الحل الوحيد والأفضل هو ان يستطيع المشي على قدميه من جديد».

«نعم، لكن هذا لن يحدث ما دمت انت وجوردان وكل شخص آخر تحاولون جهداً دفعه للمحافظة بحياته».

«لن يموت ستيوارت. انه شاب قوي وشجاع».

«هذا ما يقوله الجميع».

ودفعت نفسها في الفراش اكثر ثم قالت بقوة:

«الا تستطيعين الاحساس بخوفه؟ انه بحاجة الى التفهم والى شيء قوي ما فيه الكفاية ليتحصر على خوفه».

«اعتقد ان الرغبة في الشيء ثانية كافية لتخليصه من خوفه».

وابتعدت جيردا عن المرآة واضعة يديها على عينيها.

«هل تعتقدين حقاً بانك ستنجحين حيث فشل الآخرون؟».

«نعم». لو تركني الناس اقوم بما اريده بطريقتي الخاصة».

تنهدت جيردا وقالت:

«أليس القرار خاصاً بسيوارت في الدرجة الأولى؟ لا اعتقد انه يستطاع اي منا اجباره. انه مثلاً ضد الفكرة واذا ما اثرت عليه...».

وصرخت سوزان بلا ارادة قائلة:

«ذلك شيء آخر، لو انك لم تأتي لتتدخلي لاختلف الأمر تماماً».

«آه يا ربي! كيف ان قضائي عدة ايام في هذا البيت يدفعك للاعتقاد بتغيير سيوارت؟».

«ان السيدة بلاك تقضي عطلتها بعيداً، واقنعت سيوارت بعدم الذهاب معها والبقاء معي، وهكذا تتاح لنا فرصة البقاء شهراً كاملاً وحدنا، ولولا عودتك واثارتك للاضطراب لكنا متزوجين الآن».

«زواج؟ هل تظنين ان جوردان كان سيسمح بذلك؟».

«اعرف تماماً ما يفكر به جوردان وسأنتصر عليه، اذ انجزت انا وسيوارت كل شيء».

«نعم، لنفترض ذلك. ثم ماذا؟ كيف ستعيشين بسيوارت؟ اين ستعيشان؟ هل لديك فكرة عن العيش مع مقعد؟ انك مجنونة لمجرد التفكير بذلك».

ونظرت الفتاة الى جيردا بهدوء وقالت بلهجة واثقة:

«كلا لست مجنونة. لو انني اخبرتك التفاصيل لتقبلت الخبر الى جوردان. سيكون كل شيء على ما يرام، لا تقلقي».

حدقت جيردا في وجهها بمرارة وقالت:

«جوردان هو آخر شخص ارغب في اخباره اي شيء، ولكن لا تخبريني اذا لم ترغبي بذلك».

«اريد اخبارك لانني اريد منك ان تفهمي. اريد من سيوارت الزواج مني سراً. كلانا في سن الرشد ولن يستطيع احد منعنا. اعتقد ان ليون سيساعدنا عملياً من ناحية اخذ سيوارت الى ايست بورن للاحتفال، ولكن اذا رفض فسأجد شخصاً اخر يقوم بذلك. ثم نعود بعد اجراء المراسيم ولن نخبر احداً».

«نعم، لكن المسألة ليست سهلة الى هذا الحد».

ولم اكمل حديثي بعد. كما انني ادرك صعوبة الحديث. سيكون زواجنا شرعياً اذا ان الحادث لم يؤثر على قدرة سيوارت على الزواج، لذلك لن تكون امام جوردان فرصة نقض الزواج لأي سبب. لن يكون بامكانه عمل شيء عدا ان يطلب منا مغادرة المنزل ولا اعتقد بأنه سيفعل ذلك، ولكن اذا جأ الى هذا الحل فسنجد بالتأكيد حلاً ما. ان والدي غني جداً... كما انني سأعمل ليلاً ونهاراً من اجل سيوارت. لن يقلقني ذلك اطلاقاً».

واحست جيردا بالاعجاب بسوزان رغم ارادتها، فمهما كانت الخطاء سوزان فهي لا تفتقد الشجاعة، وقد عنت كل كلمة نطقت بها.

تساءلت جيردا بنعومة:

«ثم ماذا؟».

«سيختار سيوارت اجراء العملية».

«وربما لن يقبل اجراء العملية... هل فكرت بذلك الاحتمال؟».

«كلا الا تفهمين؟ اذا تزوجته وعملت منه بعد ذلك، سيفتتح سيوارت بحبي له وسيدفعه حافز قوي للرغبة بالحياة من جديد وسيرغب في الشفاء اذ سأمنحه الثقة بنفسه».

والتمعت عينا جيردا، هناك شيء رائع ومثير في حب واخلاص سوزان. فقالت:

«ذلك تخيب كثيراً».

«بالطبع». احبته منذ ثلاث سنوات ولن ارغب بالنظر الى اي رجل آخر، فلأجله حاربت من اجله جوردان وعائلتي، خدعتهم وآذيتهم جميعاً من اجله. كما هناك شيء آخر. هناك شيء يجمعني بسيوارت وسيربطنا الى الابد، لحين موتنا. لا تستطيع التهرب منه ولا ارغب شخصياً بالتخلص

منه لذلك يجب ان نتزوج ونعيش سوية بقية حياتنا، مهما حدث».

وأظلمت الدنيا في عيني جيردا، اذ نظرت دون ان ترى شيئاً بحثاً عن حجاب يخفي ما عرفته منذ سنوات، سراً شاركت ستيوارت معرفته، ورغبت في الصمت اذ لم يعد كشف السر شيئاً، ومن الافضل ابقاء الاوضاع على ما هي عليه حالياً.

ونهضت سوزان واقفة واحست جيردا بانها تحاول الثأر اضطرابها من جديد:

«لذلك اتركنا ولا تعودي ثانية. ستيوارت لا يحبك الآن. اعرف بأنه احبك ذات مرة، الا ان حبه لك مات كما انك لا تحبينه».

تنهدت جيردا لأنه لم يعد امامها ما تقوله خاصة انها ترغب في كتمان ما تعرف، فخطة جوردان محكوم عليها بالفشل مسبقاً، ادركت ذلك منذ البداية وفشلت في اقناعه، ولكن هل تستطيع الآن؟

«اذا لم اتركه وحده فسأخبره بكل شيء».

«تخبرينه ماذا؟ ماذا ستخبرين جوردان؟».

«قلت انني سأخبر ستيوارت بما رأيته الليلة. اني قضيت بعض الوقت مع جوردان في الحديقة ثم تبعته بعد ذلك الى غرفته. لا عجب انه ابعد ديانا المسكينة عن المكان».

ونظرت سوزان الى جيردا باحتقار. ورأت شفتي جيردا تفترقان دهشة فهزت كتفيها استهانة.

«لا يهمني كثيراً مع من يسلي جوردان نفسه».

ثم توجهت نحو الباب وتوقفت هناك لحظة لتقول:

«لا تقلقي سأحل مشكلتي بنفسي».

ولم تجرؤ جيردا على النطق بصوت عال بل تمنت لها النجاح من اجلها سوية ولم تفكر بما سيحدث لها بل اجله لوقت آخر. وكل ما احست به في تلك اللحظة هو راحة غريبة لتخلصها من مسؤولية كبيرة. واذ لمحت سوزان الحقيقة احست بالخجل، لأنها ارتكبت خطأ جوردان نفسه في اطلاق حكم خاطئ عليها، او ربما سمحت لنفسها التأثر بحكمه. لم تكن سوزان مراهقة طائشة كما اعتقدت من قبل. ربما كانت في السابق لكنها ليست كذلك الآن. بل تميز موقفها بالوضوح وكأنما ما تريده كان بسيطاً

ورغم قلة خبرتها فهي اكثر نضجاً في رؤيتها مما ترغب.

نظرت الى الفتاة ذات البدلة الزاهية اللون والقلادة المصنوعة من خرز فأحست فجأة بتقدمها في العمر وبحمائتها.

تردد سوزان مداعبة قلادتها بحركات لا ارادية كأنها لم تعرف كيف تنهي اللقاء. ووضعت يدها على مقبض الباب وقالت:

«حسناً سأذهب الآن».

«انتظري سوزان، هل ترغبين بعمل شيء من اجلي؟».

«يعتمد ذلك على طبيعة ما تريدينه».

«اريد ان اترك المكان في وقت مبكر غداً صباحاً لكنني لا اعرف اوقات سير القطارات، او كيف اصل المحطة من هناك».

استرخت سوزان واجابت:

«هذا سهل ، سآخذك بنفسي».

وجاء الحل السهل مما حلمت به جيردا. لقد ادركت سوزان مصدر قلق واضطراب جيردا وعلاقتها بوجود جوردان بلاك. وجاءت سوزان بصينية وضعت عليها الشاي والخبز المحمص اضافة الى بيضة مسلوقة، في الساعة السابعة صباحاً وساعدت جيردا على التحرك بسرعة، واطاعت جيردا سوزان اذ لم ترغب برؤية جوردان بلاك قبل هربها، وفي اقل من عشرين دقيقة كانت جيردا في المحطة وبقيت سوزان معها حتى مغادرة القطار.

وفي لحظات الوداع امسكت جيردا بيد سوزان ثم قبلتها قائلة:

«انا متأكدة من حصولك على ما تريدين وآمل ان يتم قريباً. اني مسرورة لاخباركِ اياي. وشكراً».

«عفواً».

قالت سوزان وبدا كأنها عادت الى موقفها المتحفظ من جيردا.

«سأخبر جوردان بمغادرتك».

اومأت جيردا برأسها وجلست على مقعدها. وواصلت الاحساس بالارتياح لأن موضوع ستيوارت ومستقبله انتهيا بالنسبة اليها حتى قبل ان تفهم ما كان يدور حولها. الا ان ظل جوردان بقي غيماً عليها واشعرها بالعجز ان شيئاً لم يحل حتى الآن، الا انها تخلصت من الاحساس بالمسؤولية، لأنها فقدت الرغبة في السباحة ضد مد اليأس.

وزاحمت سرعة القطار وانعكست الشمس الوردية الشاحبة على زجاج النافذة، وكان لصوت القطار صدى يشابه رتابة اسئلة لا تعرف اجوبتها، العقد، رد فعل جوردان لتحالفها مع سوزان، لقائها الغريب مع جوردان في الليلة الماضية. ودارت مرات ومرات في الدائرة نفسها متخلصة تدريجياً من ألامها ومركزة على مصدرها فقط، الرجل القاسي مصدر عذابها.

طوال الليلة الماضية وخلال ساعات ارقها الطويلة عاودت التفكير عدة مرات بما حدث في غرفة جوردان محاولة اقناع نفسها بأنه كان كابوساً غريباً. اذ لا يمكن ان يكون قاسياً الى حد عرض تلك الصور التي نجحت في نسيانها خلال السنوات الاربع الأخيرة، ثم ان هناك موضوع استخدامها لتشويه سمعتها والذي فضيحة كبيرة لمجرد ارضاء رغبته في الانتقام.

واخيراً العقد! هوارد! ستيوارت وسوزان... وتلاشى الجميع من مخيلتها عند تفكيرها بالعقد ولكن هل يهمها الأمر الى هذا الحد؟ هل هناك شيء اقسى من كلمات جوردان الأخيرة لها؟ مسألة اعمال. بضاعة. شيء يجب استخدامه.

رجل بلا رحمة. الا انها تحبه!

كان اليومان التاليان متعبين الى حد لم تصدقه. لقد توقعت في كل لحظة تلقي مكالمة هاتفية غاضبة من جوردان بلاك. ونظر اليها ميرك متفحصاً عند دخولها المكتب وقال:

«انك تبدين في حالة سيئة. هل انت بخير؟».

وحك رأسه قبل ان يقترح:

«لم لا تأخذين اليوم اجازة لك لترتاحي؟ اذ ليس هناك الكثير للعمل بدون وجوه هوارد كيا تعلمين».

رفضت جيردا الاقتراح مدركة وجوب استمرار حياتها اليومية بشكلها العادي. كيا لم ترغب في البقاء وحدها في الشقة مستعيدة، طوال الوقت، ذكرياتها المريرة.

«اعتقد انني سأرتب محتويات الخزانة في مكتب هوارد، اذ لم افعل ذلك منذ زمن طويل».

وانشغلت طوال الصباح بتلك المهمة رغم انها لم تتمتع بالعمل اذ كان حضور هوارد قوياً ومؤثراً وافتقدت وجوده وحيويته في كل مكان.

وجاء ميرك ليرى ما فعلت مرة ثم بدا وكأنه احس بفراغ المكتب فعاد ثانية طالباً منها شيئاً مستعجلاً:

«اتركي ذلك. اريد الكتابة لجوردان».

ولمست فجأة لو انها لم ترفض عرضه ترك العمل اليوم، الا انها ابعته الى مكتبه الصغير.

«انني مشمئز من كل هذا التفكير، لم نكن نلعب هكذا كالاطفال في الماضي. من هو بلاك هذا ليتصرف بهذه الطريقة؟ هل هو الشخص الوحيد على الأرض ام ماذا؟».

واملى عليها الرسالة ثم طبعتها. كان اسلوب ميرك فجاً ومباشراً وتساءلت عن وقع الرسالة على جوردان عند استلامه اياها. كانت مجهوداً عقلياً وكانت واثقة من النتيجة، وللحظة واحدة استلكها حافز بتغيير مضمون الرسالة الى:

«السيد العزيز،

وربما سيؤثر على اتخاذك القرار معرفتك باننا طردنا السيدة مانستون نتيجة اهمالها وسوء تصرفها اثناء المحادثات...».

كلا، ربما ستضيف «سوء معاملتها» بدلاً من «اهمالها».

سحل ميرك وصارعت رغبتها الطارئة في تغيير الرسالة. اعادت قراءة الرسالة ثم وقعها ميرك بدون قراءتها.

«لننتظر جواب الرسالة، هذا اذا تلقينا اي جواب».

وبدا كأن توقعاته صحيحة، اذ مضى اسبوع دون تلقي اي جواب من وينثروروز. كيا لم تسمع جيردا اي شيء من ستيوارت، اذ توقف عن الاتصال هاتفياً بها. ولم يعد امامها غير الانتظار كمحاولة للنسيان، فالزمن افضل علاج لجرحها. لكن القدر لم يمنحها تلك الفرصة...

وكان الحدث المفرح الوحيد ذلك الاسبوع هو تحسن صحة هوارد وانتهاء فترة بقائه في المستشفى. ورفع يده ليرحب بها حين دخلت غرفته وابتسم بفرح.

واخيرها بعد جلوسها على الكرسي المجاور لسريره:

«سأغادر المستشفى الاسبوع المقبل. ربما يوم الاثنين، وسيتم نقلي غداً الى دار النقاهة».

«انني مسرورة جداً».

«وهكذا غيبت توقعاتهم بيتاني عدة اسابيع قبل استعادتي صحتي. كما انني قضيت فترة طويلة اجادفهم».

ثم بدأ يكرر كل مجالاته معهم بالتفصيل مما دفع جيردا الى الاعتراض:

«انك تثير نفسك. اهدأ ولا تفسد الأمور».

«توقفي عن ابداء النصائح لي انت أيضاً».

واسترخى من جديد متنهداً بصوت عال، مرالياً اياها بمودة وحب. واحست بانه يحاول استعادة بعض ما حدث قبل مرضه، حالة يمر بها المريض عادة عند تحسن صحته، كأن ذهنه يمر باعادة شحن تساعده على بدء الحياة مرة جديدة وبقيت صامتة الى ان ابتسم:

«هل كنت احدق في وجهك؟».

«كلا، بل بدوت وكأنك تحلم».

«صحيح؟ كنت افكر بانك تشبهين امك، هل يؤذيك قولي هذا؟ اذ اذكر انني قلت الشيء نفسه من قبل. واعني حين كانت في عمرك، كانت جميلة جداً كما تعلمين».

«ولا زالت جميلة».

اجابت بهدوء.

«وهل هي سعيدة؟».

«اعتقد ذلك».

قالت جيردا بحذر.

«لم اكن اتصور انها ستستقر في الخارج مع رجل مختص بالتاريخ، اذ كانت فتاة اجتماعية، مرحة تهوى ارتياد الأماكن، والحفلات، ربما غيرها مرضها».

«كان ذلك شيئاً سأسف عليه طوال حياتي. اذ كنت في اوستراليا في وقت احتاجتني فيه امك. ولن اغفر لك عدم اخباري».

«وكيف كان في امكاني اخبارك؟ كنت بعيداً جداً ولم اود ازعاجك بطلباتنا».

«كان في مستطاعي العودة فوراً».

«ومن اوستراليا؟ الم تقم ما فيه الكفاية من اجل والدي؟ اعرف انك

كنت على استعداد للمساعدة. بل كثيراً ما تمنيت وجودك الى جانبنا».

«ومع ذلك لم تخبريني بشيء».

اطرقت رأسها وصمتت للحظات وغرق كلاهما في افكاره الخاصة. ثم تحرك ونظر الى وجهها الشاحب.

«اردت الزواج منها، اكثر من اي امرأة عرفتها. اولاً حين كنا مراهقين وفاز والدك في تلك الجولة. ثانية حين اصبحت ارملة واردت الاهتمام بكما سوية، الا انها لم توافق ابداً».

وعاد الى صمته ورواقبه، مفكرة بانه كان سيكون والدها، الا ان القدر اخذه وجهة اخرى. لم يتزوج ابداً وليس في امكانه الزواج الآن. ولم تستطع مقاومة تأثرها لمراقبة كآبة رجل احل ورعى امرأة رغم ادراكه بانها لن تكون له، وقارنت الصورة في مخيلتها بوضعها الحالي فهي تحب رجلاً يبذل اقصى جهده لاخفاق الاذى بها...

وعادت الى واقعها حين سمعت صوت دوريل، ذاكراً اسم بليز:

«انك في حاجة لمن يرعاك. انك لست مؤهلة للعمل كامرأة اعمال، الم تلتق بشخص يحل محل بليز».

«كلا، لا احد اطلاقاً».

ليس لدي الرغبة بالزواج من جديد».

«ويبدو وكأنك عانيت من زواج تعس. لكنك كنت سعيدة مع بليز. اليس كذلك؟».

«نعم».

وتحاشت نظراته بسرعة:

«آسف لتدخلي، اذ نسيت انني لا املك حق التدخل في شؤونك الخاصة، لكنني اريد منك اللجوء الي كلما احتجت شيئاً».

«ولكنني سأفعل ذلك بالتأكيد. الم اجأ اليك بعد وفاة بليز وهيأت لي مكاناً في جيرنغفورد؟ بعد ان نسيت كيف استخدم الآلة الطابعة والاختزال وحتى كيفية مسك القلم؟ انك من يستحق القلق الآن. لذلك فكر بنفسك فقط وارجو ان تراك في بيتك باسرع وقت».

«سأعود في نهاية الشهر وهذا وعد مني».

واحست بالارتياح لتأكيده، ولسماعها صوت جرس المغادرة. اذ كان

عطف هوارد مؤنثاً ومذكراً دائماً بفشلها في مهمتها.

وآه».

وتذكر شيئاً اذ كانت على وشك الخروج.

«هناك عدة اشياء احتاجها قبل يوم الاثنين. كتبت قائمة بذلك. ارجو ان تطلبي من السيدة ساندرز جلبها، اذ قد لا تزورني قبل الاثنين».

وضعت جيردا القائمة في حقيبتها بعد ان وعدته بتنفيذ ما اراد وبانها ستزوره يوم الأحد قبل نقله الى بيت النقاهة في الريف، ثم قررت التوجه لرؤية السيدة ساندرز وابلاغها طلباته.

رحبت السيدة ساندرز بزيارتها واخت عليها للبقاء وتناول فنجان قهوة معها واذ استطاعت جيردا التخلص من الحاحها والعودة الى شقتها كان النهار على وشك الانقضاء. فأعدت ملابسها للصباح التالي، وما ستتناوله من افطار، غيرت ثيابها وصففت شعرها ونظفت وجهها من الماكياج وبذلت القصى جهدها لابعاد وجه جوردان عن ذاكرتها.

لأول مرة منذ ستة اشهر تأخرت جيردا في النهوض صباحاً ووصلت الى مكان عملها متأخرة ما يقارب الساعة. اسرعت فلقة لأنها كانت حريصة على الوصول في الوقت المطلوب، ولم تحاول استغلال علاقتها الخاصة برئيسها. ومما زاد في تأخيرها ازدحام المرور وهبوب ريح قوية ذات اتجاه شمالي.

ولاتشاغلها بترتيب شعرها والسير بسرعة داخل البناية لم تلحظ اولاً الهدوء الغريب المحيط بها. ثم انتقدت سماع صوت الآلات الطابعة من الغرفة الرئيسية وكذلك قرقعة صينيات الشاي، في فترة الراحة من الصباحية. واذ اسرعت لخلع معطفها استطاعت القاء نظرة سريعة خلال الباب الزجاجي المؤدي الى مكتب الشؤون المالية. تجمعت الفتيات في زاوية واحدة هامسات بشيء ما وظهر القلق واضحاً على وجوه الجميع. هناك السيد جيمسون ومدير المبيعات الجديد. لا بد ان هناك خطأ ما في الحسابات، فكرت جيردا اذ فتحت باب مكتب هوارد لتلقي نظرة سريعة قبل توجهها الى مكتب ميرك.

سمعت اصواتاً عديدة في الغرفة وقبل ان تطرق الباب طالبة الاذن بالدخول، غادرت الغرفة امرأة متوسطة العمر ذات علاقة جيدة بجيردا،

تدعى البرايت سميث.

وبدا على وجهها تعبير القلق ذاته الذي لمحته جيردا على وجوه العاملين في قسم الحسابات المالية.

وما كان على دخول الغرفة».

«ولماذا؟ ماذا حدث؟».

«لست متأكدة بعد. لا بد انه امر مهم. الا ان احداً لم يخبرنا بما حدث حتى الآن، وكل ما طلبوه هو عدم مقاطعتهم في اجتماعهم».

ومن هناك؟».

«السيد تيلور والسيد ميرك واحد المدراء. من الأفضل ان نذهب لتناول الشاي الآن».

«وصلت المكان منذ وهلة متأنية بذلك اصول العمل».

وعضت جيردا شفتيها محاولة تخمين ما حدث، ثم اظلم وجهها فجأة:

«هل لذلك علاقة بالسيد دوريفي...؟».

«كلا...».

فاحست جيردا بالارتياح:

«من الأفضل ان اعتم بالبريد».

«لا تستطيعين ذلك، لأنه موجود في المكتب. وقد خطرت لي الفكرة ذاتها قبلك».

من الغريب ان مجرد الاحساس بقرب كارثة ما يمكن ان يبلبل حياة مكتب بكامله. ورافقت جيردا البرايت الى غرفتها الصغيرة المرفقة بالمكتب الرئيسي، حيث شربت معها قهوة الصباح. وخيم الصمت عليهما لمحاولتهما للوصول الى استنتاجات خاطئة حول وضع الشركة.

سمعنا اخيراً خطوات شخص غادر المكتب وشاهدنا من خلال النافذة، السيد تيلور والمدير الآخر، يدخلان سياراتهما، استدارت جيردا وقالت للبرايت:

«لا استطيع تحمل الأمر اكثر. سأذهب لاتقصى ماهية ما يجري».

«لا تنسي العودة لاخباري».

قالت البرايت بلهجة مستسلمة عائدة للجلوس خلف مكتبها.

ترددت لحظة حين سمعت رنين الهاتف، لكن البرايت اومأت برأسها

نحوها.

وجدت ميرك غارقاً في كآبة، ونظر اليها وبقيت نظراته ساهمة:

«ماذا حدث؟».

«فر مدير تيلور الانسحاب من المؤسسة».

«ماذا؟ الانسحاب من جيرنغفورد؟».

وجدت جيردا في مكانها.

«نعم بعد عمله طوال حياته في المؤسسة. سمعنا الخبر هذا الصباح».

«لكنه لا يستطيع انه يملك ثلث الأسهم...».

«انسحب وانتهى الأمر».

«لا استطيع تصديق الحدث، ما الذي ستفعله؟».

«دعوت مجلس الادارة الى اجتماع طارىء». الا انه لن يتم قبل الاثنين ولا تستطيع القيام قبل ذلك. اريد منك الاتصال بهم مباشرة شخصياً. ارسلي برقيات لهم اذا تطلب الأمر، ويجب ان يكونوا موجودين جميعاً يوم الاثنين. واخيراً القي نظرة على هذه».

ونظر خلال الاوراق الموضوعة على المكتب ثم سحب ورقة وسلمها اياها. كانت رسالة رسمية تحمل ختم ويتفوردز. واحست بالتصلب والبرودة، اذ شعرت بوقوفها عند حافة هاوية جديدة.

«شكراً على رسالتكم المؤرخة في الخامس عشر من الشهر الحالي. وتبعاً لاستقصائي نتائج بعض التحقيقات وخلجتي قضاء وقت الطول في مداولتها، أسف اذ اخبركم بتأجيل قرار بصدد متحكم امتياز العقد. واعتذر لأي اخلال قد ينتج عن التأخير وأؤكد لكم في الوقت نفسه ان التأخير لا يعكس عدم رضانا عن نتائج مؤسستكم، ارجو تبليغ افضل تمنياتي للسيد دوريل لتحسن صحته.

المخلص...

كان التوقيع واضحاً. جوردان بلاك. لا بد انه يستخدم حبراً اسود كاسمه، فكرت جيردا، واضعة الرسالة جانباً بغضب. ان لتوقع افضل لتمنياته صدى الاحتقار للمؤسسة. قال ميرك:

«انها القشة الأخيرة، اليس كذلك؟».

هزت جيردا رأسها بدون ان تحرق على الحديث. نهض ميرك عن مقعده

واتجه نحو النافذة، محدقاً في الطريق العام ثم قال ببطء:

«ترى أليس من المحتمل جلب هوارد الى هنا، صبيحة الاثنين قبل نقله الى المصح؟ اعرف انه سيرغب بالمجيء، ويجب ان يأتي. حين سيسمع عن تيلور وحين يعلم بخبر هذه الرسالة...

هل زرته الليلة الماضية؟ ماذا تظنين؟».

هزت برأسها رافضة الاقتراح.

«كلا، انه مريض ويجب الا نخبره، يجب الا نخبره!».

«ولكن، يجب ان نطلعه على ما حدث، وسيغضب اذا لم نفعل ذلك، انك لا تعرفين ما تتحدثين عنه».

«نعم، لكنها ستكون صدمة كبيرة له. مصيبة واحدة تكفي ولا يجب اعلامه بالكارثتين معاً. الا تفهم؟ قد ينهي ذلك نحسه الصحي. خاصة ان الاطباء نصحوا بعدم ازعاجه. ولا بد ان الصدمة ستنهي حياته».

«اعرف انه بحاجة للراحة، ولكن ما الذي تستطيع عمله غير ذلك؟».

ومرر اصابعه في شعره قبل ان يضيف:

«او ما الذي تقترحين عمله؟».

ولم تؤلمها لهجته الساخرة، اذ تألمت في الأيام الماضية ما يكفيها من الألم.

فقالت بعجز:

«لا ادري. الفي لو انني اعرف. الا تستطيع الانتظار حتى انتهاء الاجتماع؟ لنر ماذا سيحدث ونخبره بالنتيجة...».

«وماذا عن الرسالة؟».

وقلب ميرك بعض الأوراق على مكتبه ثم حدق في وجهها. قائلاً:

«كلا، لا فائدة من ذلك يا جيردا. اعرف بانك تحبينه لكنه وقت غير ملائم لاظهار العواطف. انها مسألة مهمة ويجب اطلاعه على التفاصيل».

بقيت جيردا صامتة، مدركة في داخلها بعدم وجود جواب آخر، ومع ذلك بقي هناك حافز لصدرها من خطورة اطلاع هوارد على المشاكل.

قال ميرك: «سأذهب لزيارته الليلة. وتنتهي من المشكلة هل تريدين المجيء معي؟».

«كلا... لدي فكرة اخرى.. امنحني فرصة يوم واحد... حتى الغد».

وماذا ستفعلين بحق الآلهة؟ ليس بمقدورك منع ما سيحدث».

«نعم استطيع. سأذهب للقاء جوردان بلاك، لا استطيع الحيلولة دون تخلي المدير عن المؤسسة ولكنني قد استطيع اقناع جوردان بلاك بتغيير رأيه».

دهش ميرك واشار الى الرسالة.

«هل تدل لهجة الرسالة على احتمال تغيير رأيه؟».

«كلا، لكنني سأحاول، يجب ان احاول».

nlo
liilas..com

٧ـ ماذا في اللاوعي؟

اذا اتخذت جيردا قرارها لم يعد للكهرباء والعناد اي تأثير معاكس. وسدّ حاجز غريب في لا وعي جيردا كل شيء عدا اللحظات التي استدعت اتخاذها القرار، ولم تستطع اضفاء اي واجهة معقولة على قرارها الحاسم. واذ قررت اخيراً مغادرة غرفة نومها، كانت الغرفة ساحة لمعركة عاصفتها مع نفسها لاختيار ما سترتديه وتنوع الماكياج الملائم والوشاح...

ومع ذلك غادرت الغرفة دون ان تدرك ما فعلته او كيف بدت في النهاية. كما لم تعلم الى اين ستتجه او اذا كانت ستعثر على جوردان بلاك هناك. كانت لديها فكرة غامضة عن شقته في المدينة... وعثرت على العنوان في دليل الهاتف، من الافضل لو استأجرت سيارة اذ لم تستطع العثور على المكان وحدها، كما انها لن تجرؤ على الاتصال به هاتفياً... وما الذي ستقوله؟ ورغم وصولها وتوقف سيارة الاجرة امام الطريق الضيق المؤدي الى مدخل البناية، لم تستطع اعداد ما ستقوله. اشرقت الشمس المتأخرة على زجاج الابنية العالية المشرفة على المبنى الذي بدل بوضوح على قدم المنطقة ومحافظتها على بعض ملامحها الاصيلة. كانت هناك مصابيح قديمة تنير خارج المنزل، كذلك صناديق النباتات والزهور الجميلة ونساءلت جيردا فيما لو كانت نمطية في فكرتها عن شخصية جوردان بلاك، اذ لا بد انه يعيش في شقة تقع اعلى بناية شاهقة، وليس في ذلك المنزل الواجه فما في نهاية الطريق. كان هناك لوحة صغيرة تحمل اسمه وجرس مما دفعها للتردد من جديد. لن يكون هناك. اليوم هو الجمعة، لا بد انه توجه الى غرين ريغ لقضاء العطلة.

سارت ببطء حول زاوية المنزل ولمحت السيارة الخضراء في الجانب الآخر، وقفت هناك لمزقة الرغبات ثم سمعت فجأة صوت جوردان يقول:

«الباب مفتوح».

دهشت لرؤيته ينظر اليها من خلال النافذة، وقال:

«افترضي انك كنت تتجولين في المنطقة باحثة عني».

ودون ان تجيبه توجهت نحو الباب، فتحته كما قال بدلعة صغيرة، ووجدت نفسها في صالة صغيرة ذات سقف منخفض، وباب مسدود يواجهها وسلّم ضيق في الجهة اليمنى. ترددت وبدأت صعود السلم.

كانت هناك مطبوعات يابانية قديمة بارتفاع كتفيها لكنها لم تستطع رؤية شيء، وانتهى بها السلم الى غرفة جلوس فسيحة، ووجدته كما كان واقفاً قرب النافذة.

«تعالي اذن. ما لم تفضلي الجلوس على السلم والتحدث اليّ من هناك».

تحركت نحو الطرف البعيد من الغرفة وجلست على كرسي جلدي ثم قالت:

«اغلقت الباب».

«يا له من امر خطير».

وتحرك بعيداً من مكانه:

«ماذا تريدين ان تشربي؟».

«لا شيء، شكراً».

«اجلسي، هل تريدين سيجارة؟».

«كلا، شكراً، هل كنت على وشك الخروج؟».

«كلا، انا ابقى احياناً في المنزل».

جلس على احد المقاعد ولم يبد عليه الاستغراب لرؤيتها تبحث عنه. ثم نظر اليها فترة طويلة قبل ان يبتسم قائلاً:

«حسناً، انها زيارة غير متوقعة».

انتظر صامتاً دون ان يحاول تسهيل الامر عليها فنظرت حولها باصباب الى الاثاث الانيق كأنها تبحث عن ملهم يساعدها لبدء الحديث. راقبها بكسل ضاغطاً باصبعه على شفته ثم متتبعاً فحصها للغرفة. وبغض وافقاً:

«ولكن بالطبع انك تودين مرافقتي في جولة سريعة داخل المنزل. تعالي،

سأريك التفاصيل. سنذهب الى الطابق الارضي اولاً. في الحقيقة لم اشرف على تجديد البناء بنفسي والا لفضحت بالحقيقة الصغيرة. . . والذ اكره استخدام المطبخ لتناول الطعام، حوّلت هذه الغرفة الى غرفة للسفرة. سأقوم ذات يوم بتغيير اعشاب المطبخ، انه فسيح وجميل الا ان ديكوره يضفي صيغة كآبة على حقيقة المكان».

وقف الى جانب الثلاجة، بينما القت هي نظرة سريعة على محتويات المطبخ الشبيهة لصورة العلبت من «كتالوغ» حديث. ثم قادها عبر غرفة الطعام الصغيرة الى الطابق العلوي مع تعليقه الدائم على كل مكان وعن رغبته في خلط القديم بالحديث، الى ان توقف فجأة قرب الحمام مواجهاً اياها:

«انك تعلمين جيداً بانك لم تصغي لاي شيء ذكرته. ماذا جئت؟».

جلبت نفساً عميقاً:

«جئت لاسألك النظر ثانية في قرارك».

«اي قرار؟».

«انت تعلم اي قرار، استلمنا رسالتك اليوم».

«آه، انها اذن زيارة عمل».

«كلا، ليست زيارة عمل. كانت رسالتك اقسى. . . ».

وكبحت جماح غضبها واسكتت عن نطق الكلمات العاطفية محاولة المحافظة على هدوئها.

«جئت لاسألك عن الاسباب المنطقية ضد تجديد العقد وماذا تعني بالضبط حين ذكرت التحقيقات والابحاث».

«اظن انك تعرفين ما عنيت».

«لو كنت اعلم لما سألتك».

وحسناً جداً. افكر بشراء جيرنغفوردز».

«وماذا تفكر؟».

«لا؟ ستكون ملحقاً جيداً».

ولكن جيرنغفوردز غير معروضة للبيع. لا اعتقد ان هوارد سيبيع بذلك. كما انه يملك الجزء الاكبر من الاسهم، وليس من المعقول. . . ».

«واعتقد انه معقول. اعرف ما قرره للمدير تيلور. كما اعرف اشياء

www.liilas.com

اخرى تؤكد الاحتمال واظن ان دوريل نفسه لن يمانع بعد ان يشفى».

سألت بحدة:

«نعم سيمانع. متى بدأت التفكير بالشراء؟».

«منذ فترة، منذ عدة اسابيع».

وجلس على الكنبة القريبة محدقاً في وجهها.

«كل ذلك الوقت؟ ولم تخبرني ابداً؟».

«لم يكن الوقت ملائماً».

«لا استطيع تصديق الامر».

شعرت باهتزاز موقفها وبالبرودة ولم تعد قادرة على فهم ما يجري حولها.

فجأة تفجرت عواطفها ولم يعد لزمام العقل اي تحكم عليها:

«هل تفعل هذا بسببي وبسبب ستيوارت وسوزان؟».

«انا رجل اعمال وسلوكي يتطابق مع مصلحتي التجارية».

ثم اضاف موضحاً:

«ان جيرنغفوردز على وشك الانهيار، وبمعدل سريع. وفي استطاعتي انقاذ الشركة مادياً ودعمها كمصلحة مفيد لويتفورد».

«هل هذا هو كل ما تفكر به؟ تجارة وربح. ولا تفكر بالناس ولا مشاعرهم».

هزّ كتفيه استهانة فأحست بالفشل يلحق بها وصمتت لحظات طويلة ثم تنهدت ونهضت من مكانها. كانت حمقاء لمجرد التفكير انها تستطيع تغيير رأيه بزيارتها الفاجئة، بحنونة لانها ظنت انها قد تؤثر عليه لدقيقة قليلاً. كان قاسياً ومتصلباً في موقفه وكانت هي آخر شخص يمكنه التأثير عليه.

وبتأنيب البارد حول سترتها القطنية واذ كانت على وشك مد ذراعها لترتدي، التقت عيناها بعينيه، وسقطت ذراعاها الى جانبيها:

«جوردان. قل لي رجاء. كن صادقاً معي. هل لهذا كله علاقة بي؟ لأني اعمل لجيرنغفوردز ولصداقتي الشخصية مع دوريل؟ اعرف طبيعة مشاعرك نحوي ونحو ستيوارت وكل شيء، لكن ارجوك ان تخبرني. هل تسمح لمشاعرك الشخصية بالتأثير على قراراتك التجارية؟».

«لنفترض ان جوابي نعم، فماذا تقولين؟».

«حاولت اقناع نفسي بخطأ افكاري، الا انني لم استطع».

وهزت رأسها بيأس:

«لا اعرف ماذا اقول باستثناء ان قرارك سيحطم دوريل وسيؤثر على حياة العديدين، كل ذلك لأني...».

وارتجف فمها وتحلت عن تصميمها في مواجهة نظراته. تناولت السترة بيدوه دون ان تسمح له برؤية انهيار دموعها.

«يجب ان اذهب الآن... انا... انا».

«جيرد».

وادهشها التغير في صوته الا انها لم تلتفت. وخطا نحوها ثم توقف:

«اني لا افهمك يا جيرد. هذا الولاء العميق لدوريل والشركة. انه شيء غير طبيعي بالنسبة اليك».

«غير طبيعي لامرأة.. اتعني ذلك؟».

«امرأة اكتشفت انها بلا اخلاص شخصي. وحتى الآن... انسي ذلك، وبحق السماء لا تنظري اليّ بهذه الطريقة مثل شهيدة كما لو كنت انا الملام».

«البست الملام؟».

تساءلت بمرارة.

«انت توجهين الاتهام؟ يا له من سلوك غوذجي لامرأة».

واستعاد وجهه صلابته قبل ان يكمل جملته:

«في امكان المرأة فقط اتخاذ موقف يستند الى كذبة وتتبنى الدفاع عنه حتى النهاية».

«والدفاع؟ كيف استطيع الدفاع؟ اذ تحمل انت كافة الاسلحة بين يديك. كيف استطيع المحاربة اذ ترفض انت الاصغاء الى الحقيقة؟ منذ البداية وانت تتبنى اسوأ فكرة عني، تثني في حادث اخيك، ثم حاولت ابتزازي لانهاء علاقته بفتاة أحبه فعلاً ويحبها لمجرد كراهيتك لها. اتهمتني بعدم الاخلاص حكمت عليّ وادنتني دون معرفة الحقائق واحتقرتني لذلك. آه، نعم». صرخت اذ رأته يحاول الانكار «لم انس بعد كيف حاولت اخواتي منذ ثلاث سنوات اثارة بنفسك ان كنت صالحة لاخيك العزيز. واخبرني بذلك بنفسه، وظننا الامر مضحكاً حينئذ لكنني لن اساعك أبداً. حسناً: اكرهني وعاقبني اذا اردت ولكن لا تدع رجلاً آخر

يعاني. رجلا يستحق افضل حياة ممكنة».

«هل يمكنك ان هذا الحد؟».

«نعم يمكني».

وارتجفت محاولة التمسك بشيء يعيد اليها هدوءها وسيطرتها على نفسها:

«لا تفعل هذا بسببي. لان سلوكك قاس وغير عادل. ولا استطيع تحمله اكثر. انا...».

«ها توجهين ليّ اتهامك الآن. انك... آه، لا تبكي رجاء: لماذا تلجأ النساء دائماً...».

هزت رأسها ومدت يدها لمسك حقيبتها محاولة تحاشي نظراته.

وحاولت في الوقت نفسه، ارتداء سترتها فلم تستطع الرؤية بسبب دموعها. اعاق سيرها ووقف امامها.

«لا تستطيعين المغادرة بهذا الشكل».

«غير مهم. عرفت بانك لن تسمح.. انني...».

«جيردا، لا تذعني...».

«لا يهمني ما سيحدث، دعني اذهب».

«كلا».

وبقي واقفاً في طريقها.

«جيردا، لا استطيع...».

وامسك بكتفيها بقوة كما لو انه سيساعدها على استعادة هدوئها.

ووقعت سترتها على الارض فانحنت لالتقاطها فكانت النتيجة اصطدامها به، وحاول ان يساعدها على ارتداء السترة وتعديل ياقتها الا انه توقف فجأة واحاطها بذراعيه من جديد.

«اهدأي. انك مهتاجة الاعصاب».

تنهدت فقال:

«من الافضل لك الجلوس قليلاً».

«كلا».

استدارت برأسها بشكل لا ارادي:

«لا اريد».

«لا تتكلمي».

كانت يداه قاسيتين وضغط رأسها على كتفه:

«قلت ما فيه الكفاية».

ارتجف كتفاها:

«كلا، لم...».

«اصمتي».

كان صوته لطيفاً وحاسماً في الوقت نفسه وواصل الامساك بها، رغم محاولتها اليائسة للتخلّص منه والابتعاد باي وسيلة عنه. قال بعد لحظات:

«اظن ان هوارد ارسلك».

«كلا، انه لا يعلم بمجيئي ولا اريده ان يعرف».

بقي صامتاً وسدّ شعرها بيديه، مهدئاً اياها مثل طفل يبكي ويلجأ الى صدر من هو اكبر منه للحماية. الا ان حنانه وعطفه عليها دفعاها الى بكاء اشدّ خاصة بعد ادراكها لضعفها حياله.

تحركت فاستجاب وترك لها حرية الابتعاد عنه.

«هل تشعرين بالتحسن؟».

اومأت برأسها ايجاباً، دون النظر اليه، وقال بصوت غريب، متقطع:

«جيردا، حتى لو انني ليّت ما تريدين: منح العقد التدويل ونسيان معطفي بشأن جيرنغفوردز، هل تعتقدين ان ذلك سيحلّ كلّ شيء؟».

«يحلّ؟ بالطبع».

همست بصوت مبحوح.

«هل انت متأكدة؟».

«نعم... ولكن ماذا تعني؟».

«اظن انك تعرفين. جيردا انظري اليّ...».

وشكت بقدرتها على النظر اليه دون ان تفضح نفسها، فقد صبره:

«لماذا لا نواجهين الحقيقة؟ لماذا تحاربين المحتوم؟».

«لكنه ليس محتوماً اذ لست مجبراً على شراء جيرنغفوردز».

«لست المتحدث عن ذلك».

ووضع اصبعه تحت حنكها مجبراً اياها على النظر اليه. وتفلّص وجهه اذ رأى وجهها المغطى بالدموع. اغلقت عينيها فقال:

«لا يغيّر ذلك شيئاً كما تعلمين».

«ماذا؟».

«ماكياجك يسيل على خدّيك. ذلك لا يعني شيئاً اطلاقاً».

سكتت فانحنى نحوها. وزادت حركة يديه هدفاً لتدل على رغبته فيها.

واحست جيردا بالتحذير ينطلق من داخلها، ينبهها الى خطورة موقفها.

وكأنه احسّ بضعفها فبدأ يمسد شعرها بحنان اكبر حتى دفعها للاحساس بان لا مفرّ امامها من ذراعيه غير اللجوء اليه.

«اردت ان افعل هذا منذ سنوات».

همس في اذنها بصوت مرتعش. واستجاب قلبها لدقات قلبه ولم ترغب بالتحرك من مكانها وتحركت شفتاها لتلفظ اسمه مرّات عديدة كأنها تحاول اعتباره عن شوقها الطويل اليه.

واذ تحرك اخيراً قال:

«جيردا ابقي معي الليلة».

وجدت في مكانها مستعيدة برودها:

«أيبقى؟ هل تعني؟».

«نعم. اريدك ان تبقي معي. اردتك دائماً ان تفعلي هذا».

«كلا، لا استطيع، لا تطلب مني ذلك».

«لم لا؟ انك تريدينني بمقدار ما اريدك».

«كلا».

وتحررت من ذراعيه وابتعدت عنه:

«ليس ذلك صحيحاً... انك...».

«لم قمت بذلك اذن؟».

«لم ارد منك...».

وضمت قبضتيها يأساً:

«لم اعن تلك الطريقة...».

«هل حدث صدفة اذن؟» قال بغضب شديد «حدث صدفة واخطأ هو خطأ الرجل دائماً».

«كلا، ليس ذلك عدلاً». وواجهت الاحتقار في عينيه «لم افعل ذلك، كما لم آت الى هنا لاغويك».

«كلا؟!». وعاود سخريته المعتادة ولكن وجودك ذاته اغواه لي. قد لا تعرفين ذلك وسيتطلب الامر جهداً كبيراً لاقناعي بخطأ رأيي».

نظرت بعيداً للتحاشي نظراته المصممة على اهانتها وفضح ضعفها، وواصل التحديق فيها كأنه احسّ بضعفها وازاد استغلال تلك اللحظة لصالحه فخطا الى الامام مقترباً منها من جديد. ثم قال بنعومة:

«تكادين تقنعينني احياناً بتغيّر مشاعرك. ثم اكتشف بعد ذلك عدم تغير اي شيء» فيدفعني احساس جديد الى محاولة تحطيم قناع البراءة الذي تواصلين ارتداءه».

وواصل الاقتراب منها فاشعرها ذلك بالقشعريرة تسري في جسمها وخشيت اقترابه منها الى اقصى حد.

«منذ فترة طويلة وانت تتحدين مشاعري وسأضع نهاية لهذا التحدي».

ولم تستطع غير الهمس بصوت لم تعرف ان كان مسموعاً ام لا:

«كلا يا جوردان، لم ارغب بذلك ابداً».

● ● ●

التفت جيردا بجوردان بلاك لاول مرة، في حفلة عائلية اقيمت قرب وندسور وكانت قد التفت اخاه ستيوارت، لم يعرها اي اهتمام في البداية، كما لم يرحّب بها عندما عرفها ستيوارت به لاول مرة واحست بعد ذلك بمشاعر غريبة نحوه، لم تحاول تحليل طبيعتها الى ان التفت به بعد عدة اشهر اثناء خطلتها في غرين ريج فأدركت حقيقة مشاعرها وبدا لها كل شيء فجأة خطأ الاقتراب منها.

الا ان ستيوارت كان متعلقاً بها. ولم تتح لها فرصة اللقاء بجوردان الا نادراً واعترفت لنفسها ان سبب مواصلتها لقاء ستيوارت هو رغبتها في رؤية جوردان.

وعذبتها معرفتها بالحقيقة فأحبت بالذنب. حاولت ان تعترف لستيوارت بحقيقة مشاعرها وبحبها لاخيه، الا انها لم تملك الجرأة للقيام بذلك، وكان الامر كله مخالفاً لطبيعتها وفضلت الموت على فضح سرها. وتحولت مشاعرها الى عذاب دائم لها الى ان حلت الليلة التي عرض فيها ستيوارت الزواج منها. وجاء عرضه متوافقاً مع طبيعته الطائشة وموقفه من الحياة، اذ اعتبر من الطبيعي ان يعرض عليها الزواج ما دامت رفضت

الاستسلام له قبل ذلك. وحين رفضت بالطف طريقة ممكنة، دهش في البداية، غير مصدق ثم انتابه الغضب حين ادرك اصرارها. ودفعته كبرياؤه المجروحة الى النطق بكلمات ما كان ليلفظ بها لولا ذلك، الا ان ذلك جرحها برغم فهمها لاسبابه الدافعة. ثم انهمها في النهاية بعلاقتها مع بليز ماتسون. هذا اتهام انكرته بقوة. خاصة ان بليز كان صديقاً رحاها واعتز بها، كما كان دوريل بالنسبة لامها. لم تفكر بليز باعتباره حبيباً قط اطلاقاً، كما لم يخطر في ذهنها التساؤل عما اذا كان بليز فكر بها بما هو اكثر من مجرد فتاة في الثامنة عشرة، خجلة، غير مدركة لطبيعة جافاه، وخاصة، اخلاصاً لا حد له للناس الذين تحبهم.

كلاه، كان بليز شخصاً تحتمي به عند الحاجة وتشعر نحوه بالمودة وعرفان الجميل. وكان هو من لجأت اليه بعد الحادث ووجدت في علاقتها به معنى العطاء الدائم والسلام التابع من توفير الراحة لمن تحب. الا انها لم تستطع النسيان ابداً.

ولم تمت حبها لجوردان بلاك بل بقي مترسباً في اعماقها، تثيره احياناً بعض الذكريات السريعة. لكنها قاومت الذكرى بعنف لئلا تسيء الى بليز، الى ان تزوجت شقيقته الصغرى. وحين عادت مع زوجها بعد قضاء شهر العسل في كاريبي، تمّ لقاء العائلة بأكملها في بيت والدته في ديفون. كان الجوّ رائعاً فتوجهوا جميعاً الى ساحل البحر، واكتشفت جيردا هناك معنى العلاقة بين حبيبين حين راقبت تبادل الحب بين الزوجين الشابين. وبقيت صامتة طول طريق الرحلة الى البيت مع بليز واذ عادت الى سريرها وحدها كالعادة، بقيت مستيقظة تحلم بما رأته.

● ● ●

ارتجفت وابتعدت عنه.

ولم لم التحريق؟».

«هل كنت ستصدقني؟».

وكان صوتها مليئاً بالمرارة.

«بالطبع، آه كيف كنت ستتوقع هذا؟».

نظرت الى كتفه، وشعرت بحذر غريب:

«هل سيؤثر ذلك على اي شيء؟».

«طبعاً...».

وبيض ساتراً الى الجهة الاخرى من الغرفة:

«لم انتظاهر ابداً بانني قديس، لكنني لم اكن مستعداً ايضاً لاغواء فتاة بريئة».

ولم تستطع الردّ. فمرر يده في شعره قائلاً:

«لم احلم بالك فتاة لم المس من قبل. ولكنك كنت متزوجة من بليزه.

«لم يكن زوجاً حقيقياً، هل يصدمك اعترافي؟».

«كلاه، لكن... لكنني لا اعرف ما الذي افكّر فيه حالياً».

«لم يعرف احد بالامر اطلاقاً».

«لست بحاجة الى التوضيح.. انني...».

وسحبت يدها بسرعة:

«كلاه، اظن انني اريد اعتبار شخص ما. كان عليّ اعتبارك منذ البداية. بدلاً من عاولة خداعك».

«كلانا جيردا».

ومد يده الى علبة سجائره فسحب واحدة بدأ تدخينها واحست بالرغبة في اعتباره كل شيء، رغم اخفائها الحقيقة عن الجميع لسنوات طويلة.

«اخبرتك ذات مرة انني تزوجت بليز بدافع الشفقة. حسناً انها الحقيقة. قد يبدو الترتيب مستحيلاً لكنه لم يكن بسبب ما فكرت به. اذ لم اتزوجه هرباً من مسؤوليتي تجاه ستيوارت والحادث...».

«جيردا، لا حاجة بك لاعادة الحديث...».

«بل يعود الامر الى زمن بعيد، حين مرضت والدتي اوصى الطبيب بوجوب مغادرتها انكلترا اثناء الشتاء وقضائها الفترة في عيادة سويسرية ورتب الحجز لنا، وذهبت معها لقضاء العطلة سوية. وكان بليز مريضاً في العيادة نفسها، بعد ان ازيلت احدى رئتيه، الا ان المرض تسلل الى قلبه بعد ذلك. ولانه كان الانكليزي الوحيد فكان من الطبيعي لقاؤنا وتبادل الاحاديث. كان عطوفاً ومثيراً للاطمئنان ومنح والدتي كل مساعدة ممكنة للاستقرار وهكذا شعرت بالامان لتركها هناك والعودة الى انكلترا دون خوف عليها. بعد ستة اشهر استلمت رسالة منها قالت فيها بأنها افضل من السابق، وانها ستنتقل في الاسبوع المقبل الى مصحّ آخر، لا استطيع لفظ

اسمه بطريقة صحيحة لكنه قد يكون تاميا جورجي. هناك الكثير بالبروفسور هيوانز، تزوجا بعد عدة الشهر واستقرت هناك بشكل دائم. انه مختص بالكتب النادرة ويعمل قرب جامعة هراز، وهما سعيدان جداً.

توقفت عن الكلام مدركة بانها ابتعدت عن الموضوع الاصلي. ثم تابعت:

واخبرتني في رسالتها ان بليز في طريق عودته الى انكلترا وانه سيأتي لزيارتي. وعندما جاء دعاني للعشاء فتحدثنا عن والدي وسويسرا وعمله. كان اكبر مني سناً، وتوفيت زوجته قبل سنوات. وحين تزوجت والدي كان عليّ ان اقرر هل اذهب لأعيش معهما ام لا. اعرف انهما ارادا مني العيش معهما، خاصة ان زوج والدي رجل عطوف ورائع، لكنني لم اكن واثقة من رغبتي بترك انكلترا وحياتي فيها، واذ حتى المحيطون على الذهاب الى سويسرا، نصحني بليز بعدم الذهاب ما لم اكن واثقة تماماً من اختياري وان اترك الفرصة لوالدي للاستقرار في حياتها الجديدة. بعدئذ، حين ذهبت لقضاء عطلة طويلة معهما، ادركت صحة رأيه. اذ كان الاثنان منغلقين في علاقتهما تماماً. هو يقوم بترجمة بعض نصوص القرون الوسطى، تساعده والدتي في ذلك خاصة بعد ان اتقنت اللغة في فترة قصيرة. واحست بعدم الحاجة اليّ. كانت في صحة جيدة وتتمتع بحياتها الخاصة. وحين عدت الى انكلترا والتقيت بستيوارت وتوقفت عن لقاء بليز، حينئذ كنت متعودة على الاخذ دون العطاء، وعلمت اثناء ذلك ان زيّ بليز الاخرى معطوبة وان الاطباء اخبروه انه لن يعيش اكثر من عام آخر».

تحركت جيردان. فتناول جوردان السيجارة من يدها خاصة وانها لم تدخنها اطلاقاً...

«انت تعرف البقية، ادركت بانني لا احب ستيوارت، وبعد الحادث لم اعرف ما الذي افعله وكنت تعسة جداً، وذات ليلة عرض عليّ بليز الزواج واخبرني بانه لا يملك الكثير ليقدمه اليّ وانه لن يستقرب اذا ما رفضته بعنف، ولكنه اضاف بانني اذا لم اقرر الذهاب للعيش مع والدي فيجب ان افكر باقتراحه. وكنت اعلم بانه سيمنحني السعادة، وادركت فجأة بانني اريده وانني احبه واريد العيش معه والاهتمام به».

وتنفست بعمق:

«كنا سعداء جداً. ورغم خوفي الدائم مما سيحدث كنا قادرين على الضحك والفرح. ومرّت بنا ايام كان فيها بليز مريضاً جداً لكنه كان شجاعاً فاجبرني على مشاركته الحاسيسه. واذ مرّ العام وبدا عليه بعض التحسن تحرأنا على التفكير بخطأ اقتراحي الاطباء، او حدوث معجزة... الا ان كل شيء انتهى في العام الماضي...» وارتعش صوتها «وكنا على وشك الذهاب الى ديفون، الا انه احس بالضعف الشديد ثم توفي في المستشفى في ليلة عيد الميلاد».

وساد بينهما صمت طويل بعد ان انهت حديثها، واخيراً تحرّك جوردان ووضع يديه على ركبتيه للحظة قبل ان يقف ثم يتمشى في الغرفة، وقال:

«وماذا تركَ لكِ؟ بعض المال والذكريات؟».

بدي مديراً ظهره لها ولم تستطع فهم حقيقة سؤاله، الا انها اجابته ببطء:

«كلا». لكنني تعرفت من خلال الزواج على شخص طيّب. لم يكن هناك اي خداع في زواجنا، بل منحته الحب والصحبة وارجو ان اكون قد ساعدته في تسهيل آلام السنة الاخيرة. ومنحني هو السلام والفهم اللذين كنت في حاجة ماسة اليهما. ليس لدي ما آسف عليه بصدد زواجي من بليز وكنت فخورة بكوني زوجته».

استدار جوردان وكان قمه منقلصاً كأنه كان على وشك قول شيء ثم غيّر رأيه في اللحظة الاخيرة:

«كان من الممكن بقاء بليز حياً عدة سنوات. هل كنت ستحافظين على مشاعرك ذاتها نحو الزواج؟».

«نعم».

همست مؤكدة، قبل ان يتنابها احساس مفاجيء بوجوب هربها. لكنه لم يفهم قلقها ورغبتها في الاختلاء بنفسها، فعاد ليجلس الى جانبها ولاول مرة رأت في وجهه القلق والندم وشيئاً آخر لم تفهمه، قال:

«هذا يجعل الامور مختلفة هل تفهمين؟ ما كنت ساتصرف بهذه الطريقة، لو انني عرفت من قبل ما قلته لتوك».

وبحركة مفاجئة حاول معانقتها معتذراً عن سلوكه:

«لا احاول اختلاق الاعذار لسلوكي، لكن يجب ان تصدقي ما قلته».

الا ان جوردان نسي كبرياء المرأة وقوتها على اخفاء بواقي المشاعر، وحتى فضيلة الغفران. وكانت، في تلك اللحظة، لمسة جوردان آخر شيء ارادته فانكمشت في مكانها، مبتعدة عنه:

«نعم قلت لك لا اهمية للأمر».

كانت حركتها مندفعة، فوقف جوردان بسرعة ونظر اليها بحرارة.

«نعم، اظن اني المخطيء تماماً».

حاولت ترتيب شعرها وارتدت حذاءها ثم قالت بتعب:

«رجاء... كل ما اريده هو نسيان ما حدث، ولست الوحيدة».

وواصلت ترتيب شعرها كأنها لم تسمع فعلق بصوت عال:

«حسناً، انت محقة. كنت مخطئاً في حكمي عليك، ثم اكتشفت هذه الحقيقة المثيرة الامر الذي يجب ان تشكريني عليه. لكنه لا وجود لامرأة ذات منطق وتتعرّف على الحقائق. لو انني الحبيبك فعلاً لحولت الموقف الى مأساة، اما لأني لم افعل فانك تسمين الامر احتقاراً.. اليس كذلك؟».

ولملك جبيرا غضب اعماها. وكانت مرتبكة الى حدّ لم تفهم فيه ان جوردان نطق كلماته الاخيرة ليحمي نفسه من خجله وتزعزع ثقته بنفسه. ولتجاهلت كل محاولاته للحديث معها واقتناعها بأعذاره الى البيت بواسطة سيارته، فهرعت مغادرة المنزل بأقصى سرعة لتجد في الظلمة ملجأ لها.

٨ـ من يملك يحكم

تأرجحت مشاعر جيرا، خلال عطلة نهاية الاسبوع، بين الكراهية اللامعقولة لكل الرجال وجوردان بلاك بشكل خاص بين احتقار ذاتي بالغ نفسه. وفقدت القدرة على تذكر الاسباب الاولية التي دعتها للذهاب لرؤية جوردان وبقيت مكتئبة نتيجة ما حدث. وفكرت بأنها لم تفشل في اقناعه بتغيير قراره بصدد العقد فحسب بل خسرت بقية احترامه لها، هذا اذا تجاهلت فقدانها احترامها لنفسها.

كانت مكتئبة وتعيسة حين ذهبت الى المستشفى يوم الاحد. ولولا وعدها بزيارة هوارد ومعرفتها بقلقه الى الصبح في اليوم التالي، لما وجدت الجرأة الكافية لرؤية احد. لكنه بدا بصحة جيدة ومتمتعاً بمعنويات عالية. ووجدته جالساً خارج الردهة في قاعة الزوار، الامر الذي اقرحها لوهلة، تلا ذلك احساسها بأنه لم يعرف بعد ما جرى لجيرنفوردز.

ابتسم لها ومد يديه ليمسك بيديها حين رآها تتقدم نحوه وقال:

«انه يوم جميل... اليس كذلك؟».

وانتبهت جيرا الى جمال النهار وحاولت الابتسام والموافقة.

«اذا بقي الجو حسناً سأتمتع بفترة نقاهتي. سأمشي والتمع بالشمس وربما سأمارس لعبة الغولف، حينئذ سأخبرك اني اصبحت رجلا عجوزاً».

«انك لست عجوزاً، وليس لعب الغولف دليل ذلك. لانها لعبة يمارسها الشباب».

«صحيح؟».

ابتسم هوارد بغموض ثم قال:

«وماذا جرى؟ يبدو عليك التعب».

«لا شيء، انني بصحة جيدة».

واجبرت نفسها على الابتسام من جديد.

«لا يبدو عليك ذلك. هل استطيع مساعدتك؟».

«كلا، لا شيء هناك. باستثناء...».

وتوقفت برغم علمها بوجوب اخباره، الا انها كانت تحاول وبقدر الامكان تأجيل التحدث. وارادت اخباره بلطف دون ان تثيره او تزيد من آلامه.

«باستثناء ماذا؟». وقطب جبينه «جيردا، هل انت قلقة بشأني وشأن الشركة؟ وذلك العقد؟ لأنني...».

«نعم، ولم ارد القلاقل، اذا آثرت بنقل الخبار...».

وبدأت فجأة اعترافها بجمل متكسرة وبطريقة تختلف عن اسلوبها الهادىء معه عادة.

«كانت رسالته بارقة، اعرف انها رسالة رجل اعمال لكنني اردت تغيير رأيه واملت ان انجح بذلك، قبل نقل الاخبار السيئة اليك، فطلبت من ميرك تأجيل حديثه معك علني ابحث مع جوردان بلاك ثم التقيت به، الا ان اللقاء كان فاشلا ولم يغير رأيه وكنت حمقاء في سلوكي اذ انني زدت الامور سوءاً».

«وهل هذا ما يقلقك الى هذا الحد؟».

قاطعها هوارد.

فلوّمت نرأسها ايجاباً خائفة من اشعاره بانها خذلته في تنفيذ المهمة، فقال ببطء:

«بدأت اتساءل عما اذا صدقت دعابتي حين اقترحت عليك استخدام سحرك في اغواء جوردان... آمل انك لم تصدقي ما قلته ولم تلومي نفسك في علاقة شخصية مع بلاك؟».

وبذلت اقصى جهدها للسيطرة على مشاعرها:

«لا ادري اذا كنت اخبرتك من قبل... الا انني كنت على معرفة وطيدة بأخيه ستيوارت وهكذا كان هناك عنصر شخصي في المسألة... الا انه لم يؤثر على الموضوع».

«كلا لا اظن ان لذلك تأثيراً. اذ من الخطأ السماح بخلط العلاقات الشخصية بالعمل. واعتقد ان النتيجة ستكون زيادة عدد الاعداء وفقدان الأصدقاء».

وصمت ثم اضاف متأملاً:

«لعجبت لأنك تبدين الطفلة. لا داعي لانطلاق نفسك. انا واثق من اخلاصك في عملك، ولا داعي لتكرار ذلك، الا انني سأغضب اذا ما سمحت لمشاكلي بالقلاقل».

وحرك يده اشارة الى اغلاقه الموضوع:

«حسناً. والآن اليك اخباري: انا لست مغفلاً تماماً عن العالم. واذ انك لم تأتي لزيارتي يوم الجمعة، فلم تعلمي بان ميرك جاء واخبرني كل شيء بما في ذلك محاولتك الصغيرة للتأثير على جوردان. لم ارد اخبارك اولاً، ولكن بما انك ذكرت كل شيء، فأجد من الافضل ان تعرفي، تحدثت فترة طويلة مع ميرك وابلغته قراري، الامر الذي لم يرغب فيه هو، لكنه ادرك انه الحل الوحيد الموجود امامنا».

انكمشت في مكانها واحست بانه على وشك اطلاعها على غير سيء. وبدا على هوارد محاولة اختيار كلماته بدقة واذ تحدث، ادركت صحة احساسها:

«فكرت كثيراً، خلال الايام الماضية، وواجهت شيئاً لم استطع مواجهته من قبل وهو المرض. لذلك قررت الانسحاب. نعم، سانسحب من جيرنغفوردز وسأتقاعد. سأبيع بيتي في المدينة واجعل من منزلي في ديفون محل اقامتي الدائم. وفي امكانك المجيء للقضاء عطلتك معي ومشاركتي حياتي البسيطة».

كان ذلك آخر شيء توقعت سماعه. هوارد يتخلى عن صراعه!

«لا اصدق ذلك، اعرف بانكما جميعاً حاولتما اقناعك بالتخلي عن بعض مسؤولياتك ومراعاة صحتك ولكن ان تتقاعد، ما الذي ستفعله طوال يومك اذن؟».

«اشي، اصطاد السمك وارعى الحديقة. وربما سأكتب كتاباً حلمت دائماً بكتابته. سأتخلص اخيراً من الشركة وسأكون سعيداً لذلك».

«نعم، انك تستحق السعادة وسأساعدك على تنفيذ ما تريده».

وآمل ان تفعل ذلك لأني مدرك لمدى ارتباطي بالعمل. قد احس احياناً بالقلق والتعب لقراري، لكن ذلك سيقل بمرور الوقت وسأتوصل الى الاقتناع بان قراري كان لصالح الشركة وزملائي ونفسي».

ولا اعرف ماذا ستكون عليه الأمور بعد ذلك».

«انك انسانة رقيقة وعاطفية، لا اكاد لك بانني سأنسى خلال شهرين وتعود الأمور الى مجراها الطبيعي بالنسبة اليك اذ ستبقين مساعدة شخصية لمديرك».

«نعم».

وتنهدت محاولة تغطية شكوكها:

«ليس الأمر كذلك...».

وساءلت نفسها فجأة، عن شخصية الرئيس الجديد المؤهل لاحتلال محل هوارد. ثم تذكرت شيئاً آخر، فرفعت رأسها بحذر. ماذا اخبرها جوردان؟ كان يفكر بشراء جيرنغفورد!

والتقت عيناها بعيني هوارد المتسائلتين وكتمت انفاسها لئلا تلفظ السرّ الأخر. لكن كل ما قاله جوردان هو انه يفكر بشراء الشركة وقد يغيّر رأيه. وجوردان ليس من النوع الذي يكذب عادة، فهل من الحكمة ترداد كلماته لهوارد؟

وإذ واصلت صمتها قال هوارد اخيراً:

«في اي حال، سنعرف مصيرنا في لقاء يوم الغد سأكون حاضراً في العاشرة والنصف، وسأخابر المكان الى الصبح بعد فترة الغداء».

وقف في مكانه وكان متمتعاً بهدوئه:

«ارجو ان تحجزي لي مائدتي المعتادة في المطعم، في الثانية عشرة والنصف».

«نعم بالطبع. هل تحتاج شيئاً آخر؟».

«لا اعتقد ذلك. باستثناء رجائي ان تتخلصي من دلائل القلق على وجهك».

ربّت على كتفها وبدأ السير ببطء عائداً الى مدخل الردهة مكرراً:

«سيكون كل شيء على ما يرام. اطمئني».

ولكن هل جرت الأمور وفق ما تمناه؟

كان الجوّ العام في المكتب، صبيحة اليوم التالي، مشحوناً بهدوء العاصفة. بدا القلق واضحاً على العاملين وسادهم الصمت. ورغم اشعة الشمس الساطعة، كان مكتب الاجتماع بارداً، ولم تؤثر حتى الزهور التي وضعتها البرايت على عجل قرب النافذة، على الجوّ الصارم المحيط بكل شيء.

وكان هوارد آخر القادمين، لذلك لم تجد جيردا فرصة للحديث معه، باستثناء مبادلته تحية الصباح واعدت دفترها استعداداً في حالة رغبته باملاء اي ملاحظة عليها.

كان الاجتماع هادئاً بشكل غير معتاد وساد الحاضرين احساس بالاكتئاب خطى حتى على ضجة حركات ميرك الثائرة. بل شعرت جيردا بحزن الموجودين وتساءلت عما اذا كان خبر ترك هوارد للشركة قد تسرّب لديهم وتأكدت من حقيقة ذلك اذ لم تلحظ الدهشة عند اعلانه اياه.

واحست جيردا بالحزن العميق ينتابها اثناء فترة الصمت التالية وغالبت كآبتها محاولة عدم التفكير بانها آخر مرة يرأس فيها هوارد اجتماعاً في هذه الغرفة. وسيجلس في مكانه شخص آخر شخص يختلف عن هوارد الصديق الحميم. ومال هوارد الى الأمام وسعل كعادته كلما اراد ذكر شيء مهم، كلا لن تعود الأمور الى مجاريها القديمة... بهدوء وبحسم خال من العواطف اعلن هوارد مقترحاته وعرض جوردان بلاك لدمج الشركة تحت ادارة شركته الحالية.

وعند التصويت وافق الحاضرون على مقترحات هوارد باستثناء اثنين. وكانت الخطوة بداية النهاية لجيرنغفورد، اذ يعني قبول عرض جوردان بلاك ان ادارة الشركة ستكون تحت امرة وينثفورد وسياستها موجهة من قبلها. اما بالنسبة الى جيردا فالتغيير عنى ما يلي:

اولا ان جوردان بلاك سيحلّ محل هوارد. وان ايامها الاخيرة في الشركة قاربت الانتهاء. لانها لن تتحمل رؤية جوردان بلاك كمدير لها يسيطر على الشركة.

ولكن، لماذا لم يخبرها هوارد؟ لا بدّ انه اتصل بجوردان، وعرف بعرضه. وكتبت بشكل آلي ما املاه عليها، ولم تكن مصغية للنقاش الدائر، بل سمعت فجأة انفتاح الباب.

اغلقت دفترها ورفعت رأسها فرأت جوردان بلاك داخلا الغرفة.

انتهى الاجتماع، لكنها بقيت جامدة في مكانها. ورأت هوارد ينهض عن كرسيه للقاء جوردان واذ مدّ الاخير يده للمصافحة قبلها هوارد مبتسماً. وانتهى الصمت الطارىء حين بدأ هوارد يعرّف الاعضاء بجوردان. وتحرّك الرجال مبتعدين عن الطاولة التي بدت فجأة مهجورة مغطاة بالاوراق والاقلام، وبعض بقايا السجائر...

وقفت جيردا ممسكة الدفتر باحكام اذ رأت نظرات جوردان تستقر عليها. ثم استرعى انتباهه شيء تفوّه به ميرك فاستدار لالتفاتة اليه. ودخلت الزبابيث الغرفة وهمست في اذنها لكنها لم تسمعها بل كانت مشغولة بمراقبة هوارد يلتقط حقيبته ثم يصافح الاعضاء مودعاً، ايتسم جوردان بلاك ويخرج الرجلان سوية دون النظر الى الوراء.

واحست بالبرودة كأنها تعرّضت للخيانة، فكم كانت عاطفية حمقاء، وكم من المتاعب واجهت وعرّضت سمعتها للتشويه...

كانت بقية اليوم عذاباً مبرّحاً لها. وجدت من الصعب جداً التركيز على طباعة واعداد الرسائل المطلوبة، واخيراً فقد ميرك صبره وسيطرته على اعصابه فوبخها غير مرّة.

وحدق ميرك في وجهها مذهوشاً.

«عليك القيام بعملك بطريقة افضل يا عزيزتي، خاصة عند وصول الحاكم الجديد».

لم تكن ملاحظة قاسية الا انها نالت لمجرد اللاحظة.

ولا اعتقد انني سأبقى مع العهد الجديد».

«هذا هو السبب اذن. كان علىّ ادراك الامر، لكن كل شيء سيبقى كما هو الآن دون تغيير».

صمتت لتفكر بحالها. وعنى التغيير بالنسبة اليها ترك الندبة والعمل وايجاد مكان آخر للعيش. وكانت تلك هي الطريقة الوحيدة للتغيير الحقيقي.

«اذا كنت قلقة لوجود جوردان بلاك فلا داعي لذلك، صحيح انه سيشن هجومه من حين لآخر، الا انني سأستغرب اذا رأيناه اكثر من عشر مرات في السنة».

وانكمشت للاحظة ميرك القلقة من شأن جوردان وكفاءته وتذكرت بأنه قادر على توجيه التهمة ذاتها اليها.

نظرت الى ارجاء الشقة، ذلك المساء، بعينين باكيتين. هل تستطيع بيع البيت الذي جهزته مع بليز؟ خاصة بعد ان قللت وحدتها وعزلتها اثر وفاته. ماذا سيكون الوضع في مدينة جديدة لا تعرف فيها احداً؟

ربما ستعثر على عمل مختلف. ولا يتوجب عليها العثور على منزل جديد. لكنها لم تستطع التفكير بوضوح ولم تشعر بالراحة لقرارها بالمغادرة، رغم ادراكها بانها الطريقة الوحيدة للتخلص من رؤية جوردان بلاك الى الابد. كان وجوده مثل جرح في داخلها، مثل شوكة الغرزت عميقاً في جلدها ولا تجرؤ على انتزاعها للتخلص من الما. كيف تستطيع نسيانه ونسيان عواطفها الهائمة؟

وانتابها فكرة حمقاء اخيرة:

ترى هل كانت ستتخلص من مشاعرها المحتدة وعواطفها ونزاعها المستمر معه لو انها استسلمت كلياً لارادته؟ هل في امكان العلاقة الجسدية بين الاثنين انهاء خلافاتهما الاخرى؟ هل كانت ستتحرر منه عن طريق الخضوع اليه ولو مرة واحدة؟

وقلّبها خوف شديد طوال الاسبوع وهو ان تراه يظهر فجأة في المكتب، وخشيت حتى الاجابة على نداءات الهاتف لئلا تسمع صوته، الا ان الاسبوع مرّ بهدوء ولم يظهر جوردان في المكتب واستلم ميرك كل مخابراته الهاتفية، فبدأت تشعر بالاسترخاء قليلاً وافترضت صحة نظرية ميرك. وما كان عليها الاستعجال باتخاذ قرار بصدد تركها العمل. واذا كانوا على وشك مغادرة المكتب يوم الجمعة، ظهر جوردان بلاك فجأة. لم يفتّح وقته في توجيه التحيات الهادئة. وطلب من ميرك مرافقته في زيارة سريعة لجيرنغورفز.

واحست جيردا بالراحة لانه لم يطلب منها مرافقته، بل رافقته سكرتيرة اخرى مع السيد تيلور من قسم الحسابات. وعادت السكرتيرة حاملة معها كومة من الاوراق المكتوبة وأملة ان تكون الزيارة القادمة من نصيب سكرتيرة اخرى بينما حمل جوردان مسجله الصغير ليسجل تقريره الشامل.

اسرعت الزبابيث بجلب صينية الشاي واجبرت جيردا على القيام بدور

الضيفة، اذ اسرعت البزابيث للرد على الهاتف. وانت في داخلها عدم حدوث شيء طارىء يتطلّب استدعاء ميرك وتيلور وبالتالي تركها وحدها مع جوردان.

ولم يكن امامها خيار غير صبّ الشاي وتوزيعه على الثلاثة احست بالرعشة تسري في جسدها اذ قدمت له الكوب، الا انها لم تنس حرصها على ترتيب كل شيء في مكانه مثلما كانت تفعل عند زيارة احد الغرباء لمراورد، حين تضع المنفضة وعلبة السجائر والولاعة في مكان يسهل الوصول اليه.

جلس جوردان يهدوء في بدلة غامقة اللون كالعادة وبدا كعادته ايضاً كما لو انه خرج لتوه من الحمام، حليق الوجه والعطر الرجالي يحيطه بجو خاص. دمدم بصوت خافت دون ان يتحرك من مكانه:

«شكراً».

وبدا كأنه على وشك الابتسام لها.

وتصرف معها كأنها غريبة لكنها لمحت في نظراته ما ذكرها بما حدث بينهما في منزله، فاستدارت بسرعة متحاشية النظر مباشرة اليه وغير قادرة على التصرف بشكل طبيعي. واحست باحمرار خديها وقاومت رغبتها في الضغط عليهما بيديها الباردتين لاطفاء اللهيب الساخن وارادت التنقل يهدوء خارج الغرفة لكن صوت ميرك اعادها الى مكانها، اذ طلب منها احضار نسختين من العقد كما ذكرها من جديد بمأساتها واضاف:

ولم لا تشربين شايك؟».

وسحبت نسختين من العقد من درج المكتب، وناولت الاولى لميرك ووضعت الثانية على المكتب امام جوردان بلاك، ولم يهمها اذا كان سيوقع او لا يوقع العقد.

رفع رأسه وقال:

«الذي نسخة. أتذكرين؟».

وفتح حقيبته وسحب نسخته الخاصة فأجبرها بذلك على الالتفاف حول المكتب واخذ النسخة الثانية لاعادتها الى مكانها، وفكّرت بانه تعمّد ابداء الملاحظة ليهيئها مرة جديدة. صبت لنفسها قدح الشاي واعادته الى مكتبها في زاوية الغرفة وجلست في وضع يبعدها عن مدى رؤيته.

فتحت ملفاً موضوعاً على المكتب متظاهرة بانداء بعض العمل ولاحظت جوردان بلاك وهو يوقع العقد بلا اهتمام، وصل الى حد السخرية ثم سمعت ميرك يهمس بشيء ثم ضحكا سوية. فأحست بالاكتئاب. تعم من حقه ان يضحك اذ انه يقوم الآن باستلام ضحيته الثانية: فان لوردان اولاً وجيرنغلوردز ثانياً. واستلم هوارد بلا أسف، كما توقع جوردان تماماً. وكان جوردان على معرفة اكيدة بكل خطواته التالية ومع ذلك واصل التلاعب بها واختيار اخلاصها رغم ايمانه بها بعدم الاخلاص.

حسناً انه درس مفيد لها وستحاول من الآن فصاعداً اختيار العمل مع غرباء عنها وان تحتفظ بمشاعرها لنفسها دون خلطها بمسائل العمل، ستحاول بالتأكيد العمل بكل جدّ واخلاص ولكن بشكل غير شخصي...

وستكون ذات يوم، قادرة على النسيان...

«هل تعملين هنا عادة؟».

اجابت دون ان ترفع رأسها:

«نعم».

«يجب ان تعملي دائماً بحيث يكون الضوء مسلطاً على كتفيك ولا يواجهك».

وفرّك خلفها ليقف عند الجانب الآخر واراح يديه على صفحة المكتب.

كانت اظافره شاحبة ولاحظت شعره الأسود الكثيف مغطياً وسغيه وانتهت الى ساعته الثمينة، حرّك يده على المكتب وقال:

«صفحة هذا المكتب تعكس الضوء ومن الافضل ان تعملي على مكتب مختلف وان يوضع المكتب في الجهة اليسرى هناك».

«عملت بكفاءة وراحة طوال الشهور السبعة الاخيرة، دون الحاجة لتغيير اي شيء».

«لم احاول التشكيك بكفاءتك». قلة من الناس يدركون خطأ مواقع عملهم الى ان يتم تصحيحها فيشعرون بالفرق. والموافقة البديهية على الفكرة تثير الحماس عادة».

تنفست بعمق وعلقت:

«شكراً لنصيحتك يا سيد بلاك. انني اقدرها. لكنها ليست ضرورية».

www.liilas.com

ورفع يده عن المكتب لينظر اليها متسائلاً:

«اذن قررت التوقف عن العمل هنا؟».

وتردد قليلاً لكنه استعاد برودته المعتادة وقال:

«يصح البدءُ في اي مكان ستعملين فيه. بالمناسبة، سيتزوج ستيوارت غداً».

لم ينتظر استجابة منها، واذا ادارت رأسها اخيراً لم يكن هناك احد غير ميرك ساكراً في الممر الخارجي.

وخطت خيمة سوداء الشمس، اذ راقبت جوردان بلاك يسوق سيارته.

وبدا وكأن البرودة قادرة على اختراق دفء المكتب.

توجب على البزابيث ترداد كلامها مرتين قبل ان تنجح في جذب اهتمام جيردا، ثم طلبت منها التكرار مرة اخرى معتذرة بالصداع.

«قلت بان خطوره وقع العاصفة، وقد اصيبت احدى العاملات في المكتب العام بالصاعقة!».

«كيف؟».

«حسناً، ان حسناءنا ذات العينين الزرقاوين ستكون عاطلة عن العمل بقية اليوم لانها لا تزال تنظر من النافذة متتبعة خطوات جوردان، والتعبير على وجهها يماثل التعبير المرتسم على وجهك الآن. بل اعتقد بانها تنوي البقاء عند النافذة الى ان تراه ثانية مبتعداً قرب المنعطف».

«حقاً؟».

«نعم، اعتقد انه يمتلك جاذبية خاصة تدير رؤوس الشابات، وانني اشعر بالراحة لانني اجتزت تلك السن».

«سيشفين جميعاً قريباً».

«هذه السهولة!».

وابتعدت الى الجانب الآخر من المكتب ثم قالت:

«آه، ربما كنت محقة، اذ يتوجب على الارض مواصلة دورانها».

وبقي صدى ملاحظات البزابيث يرن في رأس جيردا بقية النهار، اضافة الى تفكيرها بحاجتها الماسة الى بدء حياة جديدة. يجب ان تتمالك نفسها وان تغادر جيرنغفوردز، اليس الآن؟ لكن متى! والى اين؟

وكان ستيوارت على وشك الزواج. لا بدّ انه سيتزوج سوزان. وكانت

ملاحظة جوردان القصيرة دليلاً على شخصيته المحبة للمجاملة الآخرين دون توقع. هل غير رأيه الى حدّ ان وافق على الزواج وباركه؟ اليس من المعقول تغييره بهذه السرعة؟

فكرت بوجوب الصالها بستيوارت لتهنئه ولتتمنى لهما السعادة الا انها كانت تعاني من اكتئاب جدّ‌ي في مكانها، دون ان ترغب بالحركة لساعات طويلة، الى ان عرض على شاشة التلفزيون برنامج وثائقي عمل، فتحركت اخيراً متوجهة نحو الهاتف. لماذا تستسلم للحزن والاكتئاب والحزن لمجرد فشلها في علاقة حب، بينما يعاني الكثير من الناس من حالات مرضية عنيفة؟

لم تتعرف في البداية، على صوت المجيب الى ان ذكر اسمه، ليون. وطلب منها الانتظار لحظة ثم نادى ستيوارت. وسمعت اصوات عديدة في الغرفة وصوت موسيقى صاخبة، لا بد انهم يحتفلون بالزواج.

«نعم. الخبر صحيح. وها نحن نحتفل مسبقاً قبل توجهنا الى مكتب الزواج غداً. هل اخبرك جوردان؟ طلبت منه ان يجليك معه الليلة اذا لم تخططي شيئاً آخر لكنه اعتذر قائلاً انه مشغول جداً. هل تريدين التحدث الى سوزان؟ انها في مكان ما هنا، انتظري».

وسمعته يصرخ طالباً من احدهم التخلّص من الموسيقى.

«اما زلت هناك؟».

«نعم».

كان ستيوارت جذلاً ولا بد ان الاحتفال جميل فقالت بسرعة:

«لن اعيقك فترة اطول عن مواصلة حفلتك. كل ما اردته هو لمي السعادة لك ولسوزان».

«نعم، نعم. اين هي؟ انا متأكد بانها تريد مجادلتك، بل اخبرتني بانكما تصارحتما بالكثير من الاشياء، فافترضت بان هذا سبب عدم اتصالك بي. الا انها مسرورة الآن ولا تشعر بالغيرة منك، اعترفت لها في الليلة الماضية بكل ما في الامر. حين استعيد الماضي الآن تنتابني الرغبة في الضحك. لحيت لو انني لم اخبرها، ولكن ما كان عليّ فعله غير ذلك؟ وكنت انت الوحيدة المتفهمة لظروفي، وشعرت بانني انتهيت منه الآن. وباستثناء جوردان لن يتذكره احد. اهي، لم تؤلمك المسألة اليس كذلك؟».

ثم توقف بانتظار موافقتها المضمونة. وفجأة قال كما لو خطرت على باله فكرة رائعة:

«لم لا تأتين غداً لمرافقتنا؟ لن يحضر الكليرون بل سأكون انا وسوزان، جوردان وليون فقط، وسنشرب نخب الأيام القديمة».

«كلا، لا استطيع. سأرحل غداً الى مكان آخر لقضاء عطلة نهاية الاسبوع. ولكن شكراً للدعوة. والمنى لكما السعادة وساصلي لكي تستطيع المشي على قدميك قريباً. مع السلامة وحظاً سعيداً».

وقبل ان يجيبها وضعت سماعة الهاتف جانباً. هكذا اذن انتهى كل شيء... وسألها اذا أنهى الأمر؟... استرخت في كرسيها... نعم عليها الابتعاد عن المنزل... اين تذهب؟ ليس الى البحر ولا الى الريف الجنوبي... بل الى مكان تنسى فيه...

وصلت الى مدينة اكسفورد، عند ظهيرة يوم السبت وتجولت في شوارعها المزدحمة بالشوقين، ثم ابتعدت بعد ذلك الى ريف الضفة الهادىء، وكان الجوّ جميلاً، الشمس مشرقة والخضرة في كل مكان، حجزت لها مكاناً لقضاء الليلة في فندق قديم منعزل قريب من منطقة محاطة بالاشجار.

بقيت هناك حتى مساء الاحد، مؤجلة عودتها مع عودة آخر قطار حتى لو كان بعد منتصف الليل. وهذا ما حدث اذ عادت في وقت متأخر الى شقتها. وتساءلت عن عدد المرات التي رنّ فيها الهاتف او قرع فيها جرس الباب.

وهكذا مضت ٤٨ ساعة قبل ان تسمع الاخبار المخيفة: توفي هوارد دوريل في صبيحة يوم السبت، اذ لحق القلب المتعب عن صراعه من اجل الحياة واستسلم للموت اثناء نومه ولم تصدق الخبر، الا ان ذلك حدث فعلاً.

واذ تخلصت من التأثير الاولي للصدمة، لم تحاول اعطاء حزنها بل بكت لساعات طويلة مدركة حتمية الموت متناسية مشاكلها امام النهاية الكبرى، رغم انها لم تنس أعظم فشلها.

٩ - على ضفاف الراين

انتهى كل شيء. لم يبق امامها غير اغلاق حقيبة ملابسها وانتظار سيارة الأجرة. خلال ساعات قليلة ستكون في فيينا، لكن الفكرة لم تثرها. بل واعتقدت ان الناس هم مبعث الفرح والحزن وليس الأماكن. جلست على حافة الكرسي المجاور للنافذة. كانت هناك ثلاثتين مستسلمتين لما سيأتي بعد التخلص من ثورة الروح والعاطفة. الا انها ما زالت تشعر بالحزن والأسف اللامجديين واستسلمت للاحساس بانها ستحتاج وقتاً طويلاً للتخلص من ذكريات الايام الاخيرة. لو انها لم ترتبط في ذهنها بمرأى جوردان بلاك لآخر مرة في الشفق، حيث نظر اليها مرة واحدة، نظرة غريبة، منعزلة وباردة. ثم انصرف بصحبة رجل لا تعرفه. جاء ليعزي بوفاة هوارد دوريل وتساءلت بمرارة اذا كان احساسه بالأسف حقيقياً، تحت ذلك القناع البارد.

نهضت بقلق ونظرت الى ساعتها وحاولت اجبار نفسها على التفكير برحلتها. ارسلت برقية الى امها بعد سماعها الخبر مباشرة، لكن والدتها كانت في زيارة بعض الاصدقاء والى ان عادت واستلمت البرقية، كان الوقت متأخراً لحضور مراسيم الدفن واتصلت بجيردا هاتفياً مساء اليوم فاته وهي في حالة يرثى لها من الحزن، اتفقت مع جيردا على السفر مباشرة للبقاء الى جانبها.

تفهم ميرك مشاعرها واكتفى بالقول:

«اذهبي. انت بحاجة الى الراحة».

ولم تخبره عن رغبتها في الرحيل الدائم، بل فهم ذلك تلقائياً.

كان من الغريب كيف قسمت الحياة نفسها الى اجزاء منفصلة: الطفولة والمدرسة والبيت وبنايتها المؤسفة بفقدان والدها، ثم بحثها عن العمل وتظلمات المراهقة ومواجهتها لأول ازمة في حياتها وقبل اقفالها باب تلك الفترة، اقفلوا هما بابلو. والآن... ربما كانت والدتها محقة، ربما حان الوقت لعودتها الى البيت ولكن اين البيت؟

وبدأت تتفقد حقيبتها: الجواز، بطاقة السفر، العملة الأجنبية والنقود في محفظتها لدفع اجرة التاكسي... وثنايا الاحساس بتفاد الصبر والرغبة في المغامرة باسرع وقت. واذ سمعت قرعاً على الباب حملت كل شيء واقفت نظرة اخيرة حولها قبل ان تتوجه نحو الباب.

وارتسمت في ذهنها صورة سائق التاكسي، وهي تحاول فتح الباب، واعاق حركتها وجود الحقيبة فدفعتها قليلاً واخيراً نجحت واعادت يد اليها:

«يمكنك اعادة الحقيبة الى مكانها».

وكان تأثير المفاجأة كبيراً على سائد انها اطاعت الأمر بلا تردد وسقطت الحقيبة على الأرض.

تناول جوردان بلاك الحقيبة ودخل الشقة بعد ان اغلق الباب خلفهما. وواجهها قائلاً:

ومن الأفضل لو تجلسين، اذ يبدو انني اصبتك بصدمة».

واتا، انا...».

ولم يطمها صوابها، بل بقي لسانها ملتصقاً بلثتها ونجحت اخيراً في نطق اعذارها المتكسرة:

ولكنني لا استطيع... اذ علي الرحيل بعد فترة قصيرة، التي ذاهبة الى المساء.

وتخلصت من آثار الصدمة، وواصلت حديثها:

وانني ذاهبة للبقاء مع امي وستتصل سيارة الأجرة في اي لحظة، ووقت الطيران...».

واعرف ذلك».

وسحب حقيبة يدها وحقيبة السفر من كتفها ووضعهما جانباً.

واذا كنت محظوظة فستصلين في الوقت المحدد للطيران. اما اذا تأخرت

ففي استطاعتك السفر بعد ذلك وسأقوم بما يجب».

ولكنك لا تستطيع، ووالدتي ستقلق لأنها تتوقع وصولي...».

وقلت سأقوم بالضروري. لدي ما اود الحديث عنه، واذا لم تتحدث الآن، فلن تفعل ذلك الى الابد. ارجو ان تجلسي ولا تجادليني».

خطت نحو الكنبة، لكنها بقيت واقفة حين سمعت جرس الباب يقرع، فأسرع معيداً حركتها وذهب بنفسه يطلب من السائق الانصراف.

وكانت تلك سيارة الأجرة وسأ...».

وسمعتك وفهمت ما قلت. والآن انا بحاجة الى بعض الشراب».

اشارت بيدها الى الخزانة الصغيرة في المطبخ، بينما جلست على الكنبة محاولة السيطرة على ارتعاش ساقيها.

ولا افهم ما يجري. ماذا تريد مني؟ الم يكفك ما فعلت؟ لماذا جئت الى هنا؟».

ورافبته حين عاد حاملاً بيده كأسه. جلس الى جوارها واستدار يتفحص وجهها. ولاحظ وضوح الظلال السوداء تحت عينيها.

ولا تنظري الي هكذا. كما لو انني... لماذا لم اخبرني الحقيقة منذ سنوات؟ لم تركتني مقتنعاً برأيي تلك الفترة كلها؟... كان في امكاني قتل شخص ما... كم كنت غبية، طوال الوقت. وبقيت انت صامتة بسبب سلوك طفل اناني وصبي احمق ترك فتاة بريئة تعاني ارضاء غروره وغبائه. الا تفهمين؟ لم استطع تركك ترحلين دون ان اعتذر اليك. دون محاولة اعادة الياه الى مجاريها. حاولت ان اجدك طوال الأيام الماضية. اتصلت بك عدة مرات يوم السبت ثم جئت بنفسي يوم الأحد، وكدت اجن لانك لم تكوني موجودة. ثم رأيتك عند حضوري مراسم الدفن ولم اتحدث اليك لهالة جرحك تلك الأونة وفضلت ان اترك لك بعض الوقت لتستعيدي قواك. ثم ذهبت جورنفقورنزوسمعت هناك باتك ستغادرين البلد. فلم استطع انتظار عودتك، هذا اذا عدت. نعم، اني اعرف كل شيء الآن ولا اعرف ما الذي سأقوله باستثناء اني آسف».

وبدا وكأن كلماته صادرة من مكان بعيد، ثم اضاف ببطء:

ونعم، اعرف الآن انك لم تكوني مع ستيوارت في السيارة اثناء الحادث، واعرف لماذا».

«وهل اخبرك ستيوارت؟».

«كلا، اخبرني سوزان».

«سوزان؟ ولكن متى حلمت، لم يكن من المفروض...».

«كلا، اخبرني قبل الزواج بدقائق. لم تعرف فيما حدث الا بعد ان اخبرها ستيوارت. وارتبكت حينئذ الى حد انها رغبت باخباري. وما زلت بحاجة الى معرفة بعض التفاصيل: لماذا حدث الأمر بالدرجة الأولى؟ ولماذا كان عنادي ضرورياً؟ لماذا اراد ستيوارت الكذب وقبلت انت كذبته؟».

انهدت ونظرت الى يديها، واذ ازيل عن كاهلها الاحساس بالذنب شعرت براحة عجيبة تنتابها. ربما وصلت الى مرحلة لم يعد يؤثر فيها الألم، ربما خلصها موت هوارد من مشاعر امتلكتها فترة طويلة. ولم ترغب في العودة الى التفاصيل القديمة اذ يكفيها الآن، معرفته الحقيقة.

قال:

«اعرف ان سوزان كانت تقود السيارة. وانها كانت في الخامسة عشرة من عمرها وانها لم تكن حائزة على اجازة للقيادة وانها اصيبت بالرعب. افهم ذلك، كيا استطيع تخيل رد فعل والدها، فيما لو تدخل رجال الشرطة في المسألة. ولكن لماذا سمح لها ستيوارت بقيادة السيارة بالدرجة الأولى؟ كان يعرف انها دون سن البلوغ وليس لديها اجازة ولا تجيد القيادة، لا بد انه كان مخبولاً».

«كانا قد غادرا احدى الحفلات لتوهما. وكان الطريق هادئاً وتوسلت اليه ان يدعها تجرب القيادة. كانت سوزان مغرمة به حتى في ذلك الحين واستحوذت على اعتمامه. كانت صغيرة جداً ومدللة، لأنها الطفلة الوحيدة في العائلة، اذ تزوج السير هيوبرت في سن متقدمة. ووفر لها كل شيء ولم يمنعها من تحقيق اي شيء رغبت فيه. فكيف تتوقع منها التغير بسرعة؟ الا ان ستيوارت لم يشجعها. لم تكن له علاقة خاصة بها... كانت طفلة الثارت اعجابه اكثر من اي شيء آخر».

«وبامكان اي انثى شابة وجيلة ان تثير اعجاب ستيوارت ولكنني لا افهم حتى الآن لم تركها تقود السيارة؟».

«لا اظن ستيوارت نفسه يفهم ذلك».

«اعني اخفاءه التعمد للحقيقة عني».

«وكان خائفاً وكان مجروحاً».

قالت بهدوء.

«نعم، الا انه لا يزال خطأه اساساً».

ولم تلن ملامح وجه جوردان القاسية فتبينت جيداً. لو ان جوردان قادر على نسيان ما حدث وما فائدة التذكر الآن، واذا كانت هي قادرة على غفران خطأ ستيوارت وكذبه فلماذا لا يستطيع جوردان تناسي كبريائه المجروحة وانه بسبب كذبة اخيه؟ اخذت نفساً عميقاً واستدارت الى الجهة الاخرى، اذ كانت مقتنعة بأن ستيوارت دفع ثمن خطاياه كاملاً.

«اراد حماية سوزان. وكان مغمى عليه في المستشفى ولم يعرف ما الذي قاله».

«بل كان يعرف جيداً. اذ كان اول شيء تلفظ به: اين هي؟ هل هي بخير؟».

وهكذا علمنا بوجود شخص آخر معه في السيارة، وقت الحادث. اذ ظننا في البداية، انه كان وحده. ولكن حين سألته عن هوية الشخص الآخر. بدأ يتذكر ثم تظاهر بالحيرة والتلعثم وقال بانه كان وحده. حينئذ استدعاني الطبيب ثم البوليس وسمعت تصريح سائق الدراجة النارية عن رؤيته لفتاة تهرب من مكان الحادث. وبالتأكيد كان المكان مظلماً ولم يستطع السائق التأكيد بانها خرجت من السيارة. واذ عدت لرؤية ستيوارت طلبت منه اخبارنا الحقيقة واذا ما كانت هنالك فتاة الى جانبه عند وقوع الحادث، اذ ربما كانت تعاني من صدمة الحادث وهربت الى مكان ما. لكنه خاف ثانية، وكان اسمك اول ما تبادر الى ذهني، واذ ذكرت اسمك اكتفى ستيوارت بادارة وجهه جانباً. الم اكن محقاً في تصديقه؟ الم تكوني خطيبته؟ ثم اكدت انت ما حدث. لماذا؟».

«لا ادري، ربما لانني شعرت بالذنب. لا ادري اذا كان ستيوارت اخبرك، لكنه عرض علي الزواج قبل الحادث باسبوع. وبالم كثيراً حين رفضت. ثم علم انني لم احبه وهكذا واصل الالتقاء بفتيات اخريات وكنت ... حين جئت للبحث عني تلك الليلة، كنت في البيت طوال الوقت. وصل بليز قبل وصولك بنصف ساعة، لو اختلفت الأمور، لو كنا خارج المنزل مثلاً لحظة وصولك لما صدقت ستيوارت...».

وتردد فجلس جوردان الى جانبها محدقاً في وجهها بعينين متعبتين.

«لو لم اكن متطرفاً لادركت ان صدمتك كانت حقيقية. ولكنني تقبلت فكرة وجودك اثناء الحادث وهربك، وبدا لي وجهك الشاحب تعبيراً عن الذنب، واذ بدأت اعتبار بليز بالاً يقلق راتك ستصحبينني لزيارة ستيوارت، ايقنت بصواب فكري وظننت بانك تحاولين اخفاء الحقيقة عن بليز ايضاً».

«لم ارغب بالثارة قلقه، وكان هذا احد الاسباب الدافعة لمرافقتي اياك فوراً. ولكن حين بدأت الحديث عن شاهد رأى الهرب مرتدية فستاناً ابيض...».

«وكنت انت مرتدية فستاناً ابيض تلك الليلة».

اومأت برأسها ايجاباً:

«شعرت بالخوف ثم حين رأيت ستيوارت شعرت بالاسف الى حد اني رغبت بالبكاء. هل تذكر انه امسك بيدي وطلب منك الابتعاد؟ ولم ترغب انت بذلك، لكنك رضخت اخيراً، فأخبرني حينئذ عن سوزان. كان مرعوباً. لم يعرف ماذا حدث لها، وكل ما فكر فيه هو احتمال اثارة الفضيحة ونتائج ذلك اذا ما عرف رجال الشرطة هويتها. وطلب مني البحث عنها والاطمئنان عليها واخبارها بان تلزم الصمت وانه سيقسم امام رجال الشرطة بانه كان وحده اثناء الحادث. وهمس بانها ستعاني جحيماً لا نهاية له لو علم والدها او علمت انت. ثم اخبرني عن الشاهد وكيف بلغك بانني كنت معه».

واطلق جوردان تنهيدة غاضبة، فاحنت رأسها باستسلام:

«توجب علي ذلك. نظر الي بعجز وكان مريضاً ثم قال لي بان ما حدث كان بسبب خطأه، ولحسن الحظ لم تقتل سوزان. ولم استطع تركه وحده، لذلك دفعتك للاعتقاد بانني كنت معه وانني ركضت لاستدعاء النجدة. وكنت واثقة بأن هذا ما فعلته سوزان. ثم بعد ان أعادتني الى المنزل وبعد الشهد العاصف بينها، اتصلت بسوزان في بيتها، طلبت منها البقاء هادئة ونقلت اليها ما قاله ستيوارت، الا انني لم اخبرها بدوري، اذ كانت مرعوبة ما فيه الكفاية حينئذ».

«توهمت بانه يرغب بحمايتك ولم اظن بانك تستحقين ذلك. وحتى ذلك

الوقت لم يخبرني بانك رفضت الزواج منه. لذلك قبلت وواصلت انت صمتك».

نهض وخطا خطوات مسرعة في الغرفة ثم استدار قائلاً:

«لا بد انني أثبت كثيراً».

«كنت محقاً في سلوكك لانك لم تعرف الحقيقة. الا ان كل شيء انتهى الآن وما ارغب فيه هو النسيان».

«لا استطيع ذلك».

«انه الشيء الوحيد المتبقي لي. انا مدينة لاطلاعك على الحقيقة، لكن...».

«هل تعرفين لماذا شعرت بالمرارة؟».

«انه امر طبيعي. لأنك تحب ستيوارت وتركه الحادث مغمداً. لو كنت مكانك لتملكني الاحساس ذاته».

«انك متفهمة جداً. لكن لم يكن ذلك السبب الوحيد».

واشعر سيجارة لنفسه وتأمل القداحة قبل ان يعيدها الى جيبه.

«لم اتحمل مواجهة الواقع... انت».

«انا؟».

«لم ارغب بتصديق كل شيء. لم اصدق بانك خدعت رجلين احدهما اخي ثم كنت مستعدة للتمتع بعلاقتك معي. واكثر الاشياء اثارة لمرارتي هو هذا».

وسحب من جيب سترته مظروفاً وضعه الى جانبها متحاشياً في الوقت نفسه النظر الى وجهها.

«من الأفضل ان تعديها لتتأكدي من وجودها كاملة».

نظرت الى المظروف وارتجفت، اذ عرفت ما الذي ستجده. واحست وكأنها اصيبت في قلبها بسكين حادة ولم تستطع التحرك لتناول المظروف.

«عديها، او هل يجب ان اقوم بذلك بنفسي؟».

وتناولت المظروف وعدت المحتويات. التقا عشرة صورة مع الفيلم الكامل. واحست بالدوار واصبحت حركاتها خرقاء الى حد ان بعض الصور وقعت على الأرض كشاهدة اتهام ضدها. تصلبت في مكانها ونظرت بعيداً.

«آه، بحق السماء! يجب الا تخجلي مما ترين. انها صور جميلة. الى حد اني ارغب... بحق... اذا كانت كلها هناك فدعيني...».

وجمع الصور كلها ووضعها في الظروف بحركات عنيفة وخاطفة.

«تعالي سأحملك الى المطار».

«كلا، دعي لي الصور. اذ يكفيني ما جرى لي من المتاعب بسببها، اعطني اياها وسأتخلص منها...».

«كلا، سأتلفها بنفسي وهكذا سأتأكد بأنه لن تقع لأي رجل آخر فرصة رؤيتها».

وابيض وجهه لشدة الغضب ثم بدأ يتمزيق الصور والظروف:

«والآن في مستطاعك حرقها».

ثم حاول جهده استعادة هدوئه وقال:

«اذا كنت مستعدة...».

دهشت لغضبه وشعرت بالعجز حياله، فهمست:

«بدا عليك الاهتمام!».

«الاهتمام؟ نعم، يعني الأمر. واهتممت بذلك منذ ثلاث سنوات وتحول اهتمامي الى جحيم حارق لي!».

وملأ عنقه الغرفة، فوقفت الى جوار الحقائب دون ان تجرؤ على الانحناء لحملها، ثم احست بالاقتراب منها:

«نعم، احببتك طوال الوقت. تنحيت جانباً لأن اخي كان يحبك، او هذا ما توهمته. ثم اكتشفت زواجك برجل آخر، حتى قبل معرفتي بانتهاء علاقتك بستيوارت. والآن اصبحت تعرفين سبب احساسي بالمرارة. قد لا يكون ذلك تعزية كافية للآلام التي عانيتها ولكن قد يهمك ان تعرفي انني عانيت الكثير والآن، سأحملك الى المطار...».

وتردد صدى صوته في الشقة عدة مرات بعد ان توقف عن الكلام، واحست بالدوار وانتظرت عدة دقائق لتستعيد وضوح الرؤية.

«كلا، كلا... قل ذلك ثانية، هل كنت احلم؟ هل قلت...؟».

«انك غير مقتنعة بصدقي واخلاصي وبأني اكره نفسي لقدر ما تكرهينني؟ ما الذي تستطيع قوله اذن؟».

هزت رأسها:

«كلا، كرر ما قلته من قبل. عن اهتمامك بي لانني لا اصدق ما قلته عن حبك و...».

ونظر اليها فترة طويلة ولاحظت الألم واضحاً في عينيه فانهدت وتقدمت نحوه بسرعة فوجدت ذراعيه بانتظارها.

همست في اذنه:

«جوردان... جوردان...».

ولم يجبها بل نظر اليها بحب هامساً:

«هل تصدقيني الآن؟».

«نعم».

«جوردان يجب ان اخبرك. احببتك منذ البداية، لهذا لم اقبل عرض ستيوارت بالزواج. وتأكدت من الأمر حين كنا سوية قرب الساحل و...».

«ومع هذا تزوجت رجلاً آخر؟».

«اعرف ذلك، اذ ظننت بانك لم تهتم بي، ولم احلم باسترجاء انتباهك. ربما لو انني كنت اكبر سناً او اكثر حكمة... لا ادري...».

كان صامتاً فواصلت القول:

«اما بالنسبة الى الصور فيجب ان اخبرك عنها الآن. كنت بحاجة ماسة الى المال بسبب مرض امي. واخبرني المصور ان كل ما يهتم به هو الضوء، وهذا ما حدث فعلاً، الا انني ذعرت حين رأيت الصور ولو كنت، كما قلت سابقاً، اكبر سناً او قادرة على التفكير في المستقبل لما فعلت ذلك اطلاقاً، لكنني لم اكن كبقية الفتيات افكر بما سيحدث».

«كم دفع لك؟».

«خمسون جنيهاً استرلينياً».

«فقط؟».

«نعم». وبدا لي المبلغ ثروة صغيرة في حينها

هل اشتريت الصور لطبعها في التلفزيون؟ ثم غيرت رأيك؟».

وبدا على وجهه الانقباض حين تساءل:

«وما رأيك؟».

اطرقت برأسها وبدا على وجهه الهم. ولم يستطع اخبارها عن المبلغ

الضخم الذي دفعه ثمناً للصور وللمصور. هذا افضل عمل قام به في حياته. ثم قال:

«لا تفعلي ذلك ثانية اطلاقاً، هل تفهمين؟».

ورغم قربها منه، بقيت تشعر بانها في حلم ولم تصدق ما يجري حولها:

«هل تصدقني؟».

«بالطبع».

«وتفهم سبب زواجي بباتيز؟».

«نعم... ولكن يجب ان اوضح ما يلي: انني لست شخصاً هادئاً ومتفهماً بطبيعتي. بل انني معاند ومتعجرف وطالب بالكثير واذا ما اغاني احدهم ارفب برد الاذى. نادراً ما امرض، ولكن اذا شعرت بالألم في اصبعي الصغيرة فانني اطلب منك استدعاء فريق كامل لعلاجي. ولست صبوراً مع الحمقى. اعرف اخطائي ولست قديساً. الا انني احبك اكثر من اي شيء اخر على وجه الأرض. هل هذا كاف؟».

«اذا صدقت بانني احببتك طوال الوقت وانني كنت على وشك مغادرة البلد بسببك لانني لم احتمل العيش بدونك. قد يعطيك هذا الجواب على تساؤلك».

«وهل تقبلين الزواج مني؟».

«نعم».

«وكيف تستطيعين العفو عني بعدما عانيته بسببي، رغم انني لا استطيع الغفران لنفسي؟».

«كلا، اصمت. كل ما اطلبه هو الا تدعني ارحل».

«ابداً انني احبك واحتاجك. وسأحاول طوال حياتي تعويضك عما حدث، لأن ما حدث ارعبني وزعزع ثقتي بنفسي. كنت دائماً، واثقاً من نفسي ولكنني احسست بتعلمل قليي رغم سيطرة العقل وحساباته».

«اصمت رجاء. اذ لا احتمل ادانتك لنفسك. ما حدث انقضى وتكفينا سعادة الحاضر الآن».

«كلا، اذ ما كان سيحدث لو ان سوزان لم تقرر اخباري؟ وكنت مخطئاً بحق سوزان ايضاً، برغم عذابها لعدة سنوات. ولو كنت اقل عجرفة لسألت نفسي عن سبب اهتمامها بستيوارت رغم عجزه وافهمت بانه كان

السبيل الوحيد لتعويض عن احساس بالذنب وانها احبته بصدق وارادت العيش معه، وانها لم تكن مجرد مراهقة حمقاء تتظاهر بحب رجل مقعد».

«كانت سوزان اكثرنا حكمة».

قالت بتعومة، واحست هي الاخرى، بانها اقوى منه ومن ثقته الخاطئة بنفسه، اذ حاولت على طريقتها تصحيح الأمور.

«والآن لنحاول النظر الى المستقبل، وكفانا اسفاً واعتذاراً».

«نعم، كفانا اسفاً واعتذاراً».

لكنها علمت ان هناك شيئاً لن تستطيع محوه من ذهنه: عجز الغيرة، فسألته:

«هل قرر ستيوارت قبول اجراء العملية؟».

«نعم، ربما خلال الاسبوعين القليلين والتي لو تستطيع الزواج في اقرب وقت. اذ اعرف مكاناً جميلاً قرب الراين، نستطيع قضاء شهر العسل هناك، ونستطيع زيارة ستيوارت وسوزان التي ستبقى معه بالتأكيد، ثم نستطيع بعد ذلك الذهاب لزيارة والدتك، لانني لا اعتقد انك ستسافرين اليوم. وعلى الأن الاتصال هاتفياً بـ... ولكن، هل ابدو متعجلاً في قراراتي؟».

«كلا، احب ذلك. وازيد ان اري ستيوارت قادراً على المشي من جديد».

بعد ستة اسابيع، تحققت كل امنياتها.

في شرفة مضاءة، بالقصر قرب نهر الراين. وتحت ظل قلعة قوطية الطراز، راقبت جيردا البدر مضيئاً الشجار الصنوبر وكان قلبها ممتلئاً بالارتياح والقناعة. اذ راقبوا ذلك الصباح، ستيوارت واقفاً لأول مرة، محاولاً ان يخطو.

كانت خطواته غير متوازنة وبمساعدة ايد محبة، الا انها خطوات قادته الى ذراعي فتاة احبته وضحك الجميع واختلطت ضحكاتهم بالدموع وكان كل ما قالته سوزان وببساطة:

«انظر الم اقل انك قادر على المشي».

«اغب والاخلاص».

قال جوردان وكأنه استطاع قراءة افكارها.

«والآن نستطيع التمتع بسعادتنا الخاصة».
اومأت برأسها وسادهما الصمت من جديد حتى قال بهدوء:
«اخبريني مرة اخرى».
«ماذا؟».
وتظاهرت بالحيرة.
«انك تحبينني».
«احبك اكثر من اي شيء آخر في العالم».
«اتمنى لو استطيع اكتشاف الف طريقة جديدة اعبر فيها عن حبي لك.
وتعرفين يا عزيزتي انني مستعد لمنحك العالم كله، لو كان ملكي».
استدارت نحوه وهمست:
«لا اريد العالم كله، بل اريدك انت».

www.liilas.com
nlo
liilas.com

روايات رومانسية عالمية

عبير

nlo

لحظات الجمر

الحقيقة

عندما لا تقال تخلق في الضمير

حالة كابوس تنمو وتنمو كالاخطبوط الشرس،

وتروح تعبث بالحالة النفسية وتؤثر على التصرفات،

حتى تصل لحظات الجمر، لحظات قول الحقيقة... فكيف اذا

كان الحب مختبئاً وراءها، ينتظر بفارغ صبر ان تقال؟ جيردا لم

تكن تتصور ان جوردان بلاك يمكن ان يفكر بها بشكل جدي، بل

كانت تحاول الفرار من كل ما يربطها به حتى انها استقالت من عملها

وعزمت على السفر. فجوردان رجل بلا رحمة وهو يمقتها ولا

يتوقف لحظة عن التنكيل بعواطفها. لذلك بقيت على عهدها

لاخيه ستيوارت الذي تعرض لحادث اليم ولم تخبره

الحقيقة.. وبينما كانت على اهبة الخروج من كل

مصائبها، قرع الباب شبح طويل

القامة..

Urdu Links.com

مكتبة لبنان

liilas.com

ت: ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل: ٠١٢٣٧٨٦٤١٨